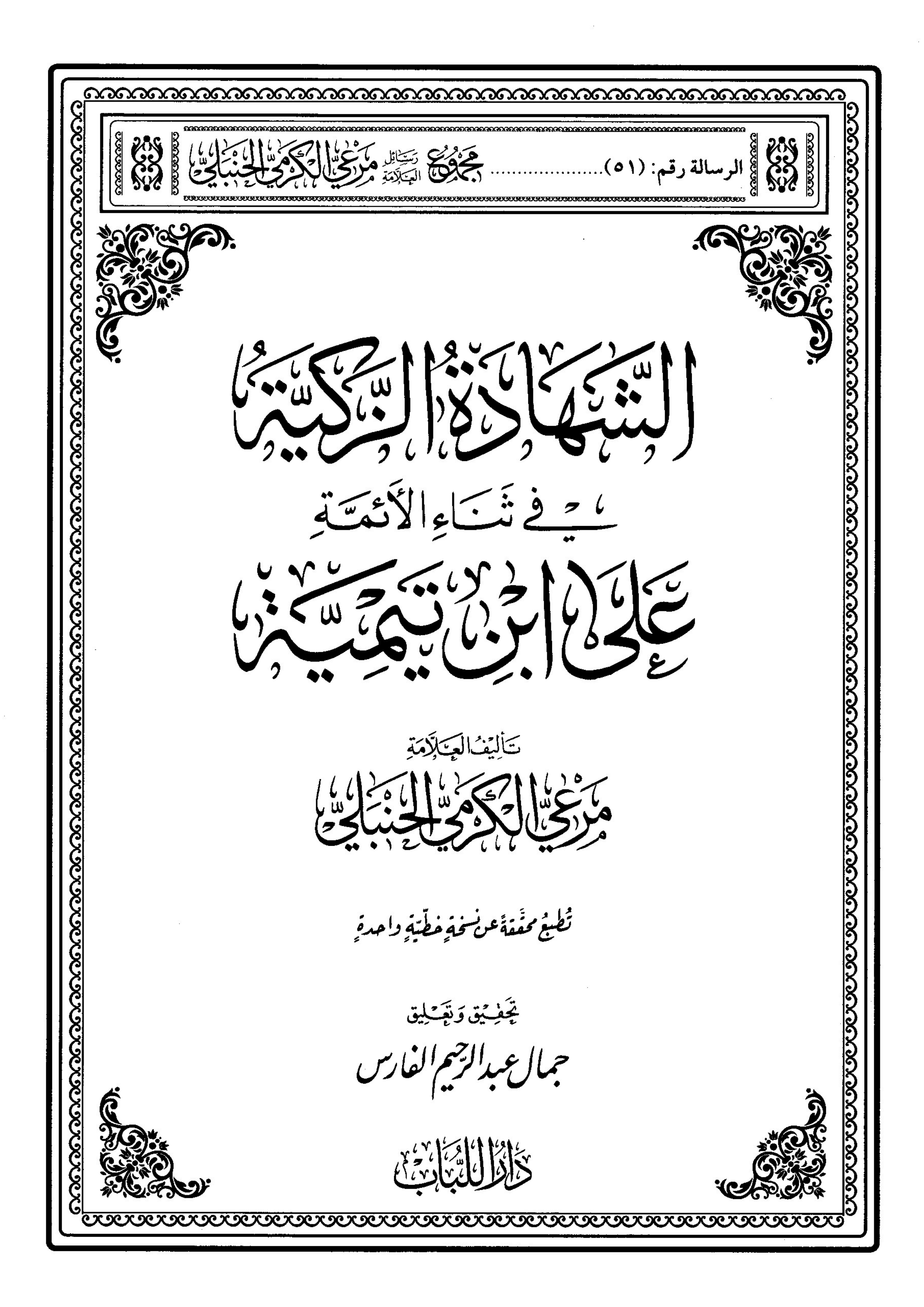




# الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية


تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي


تُطبع محققة عن نسخة خطية واحدة


تحقيق وتعليق

جمال عبد الرحيم الفارس

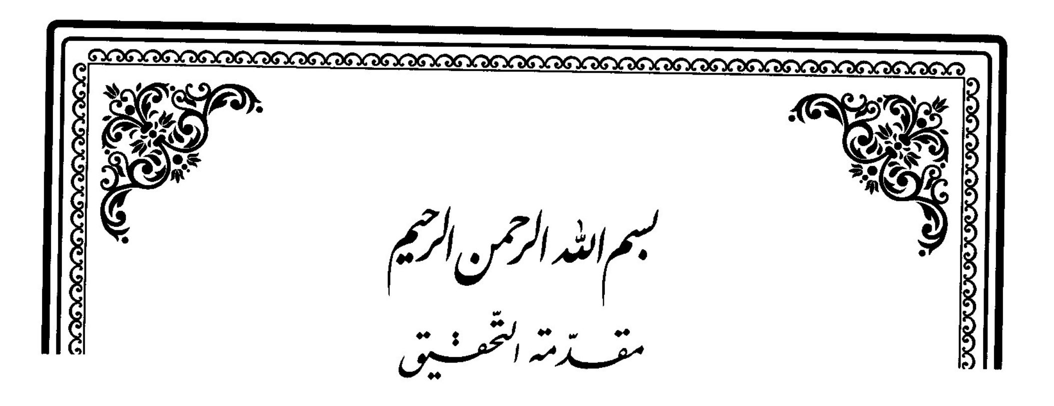


دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم
قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
لطف الله تعالى به آمين
الحمد لله رافع مقام العلماء العاملين بمواقع أهل الزيغ الملحدين
والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه
الطيبين الطاهرين وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين وبعد فهذه كلمات منيرة وعبارات مستنيرة
في ثناء الأئمة الأعلام على شيخ الإسلام بحر العلوم ترجمان
القرآن مفتي الفرق أوحد المجتهدين أبي العباس أحمد تقي الدين
بن الشيخ الإمام عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين
عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن
تيمية واختلف لم قيل ابن تيمية فقيل إن جده محمد بن الخضر حج على
درب تيماء فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت
بنتا فقال يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك وقيل إن جده محمدا كانت
أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها وولد
رحمه الله يوم الاثنين عاشر وثاني عشر ربيع الأول سنة
إحدى وستين وستمائة وتوفي ليلة الاثنين العشرين من
ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عن سبع وستين سنة وقد
أثنى الأئمة الأعلام على هذا الإمام ولقبوه بشيخ الإسلام وأفردوا
مناقبه

مناقبه بالتصانيف وتحلت بذكره التواريخ والتآليف ولم
ينتقصه إلا من جهل مقداره وخطره ومن جهل شيئا أنكره
ولقد أنصف العلامة الإمام قاضي قضاة الإسلام ابن التقي
بن السبكي حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية فقال
والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى
فالجاهل لا يدري ما يقول وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق
بعد معرفته به ولقد أنصف أيضا الشيخ الإمام والعلامة الهمام محمود
بن أحمد العيني إمام الحنفية في زمنه حيث قال في أثناء كلام
طويل في مدحة ابن تيمية وذم من يعيبه وليس هو إلا كالجعل
باشتمام الورد يموت حتف أنفه أو كالخفاش يتأذى بنور
سنا الضوء لسوء بصره وضعفه وليس لهم نجبة نقادة ولا
روية وقادة وما هم إلا الأصلقع بلقع سلقع صلمعة بن قلمعة
وهيان بن بيان وهي بن بي وضل بن ضل وضلال بن التلال ومن
الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين بن
تيمية من شم عرانين الأفاضل ومن جم براهين الأماثل انتهى ما أطال
العيني الكلام في مدحه كما يأتي واعلم أيدك الله أن كثيرا من
الأئمة الأماثل والعلماء الأفاضل قد أفردوا لمناقب الشيخ
تقي الدين بن تيمية في تصانيف مشهورة وتراجم في التواريخ
مذكورة وقد ذكر غالب العلماء الذين أثنوا عليه صاحب

مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس (الأصل)




الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.

**وبعد:**

**فإنَّ** كتاب «الرَّد الوافر على من زعم بأنَّ مَن سمَّى ابنَ تيمية شيخَ الإسلام كافر» لابن ناصر الدِّين الدمشقيِّ[1] ردَّ فيه على أحدِ المتعصِّبين على شيخ الإسلام،

---

(١) هو محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف، شمس الدِّين، أبو عبد الله، الحموي الأصل، الدِّمشقي الشَّافعي، المعروف بابن ناصر الدين.

ولد بدمشق في المحرَّم من سنة (٧٧٧ هـ)، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم، والمتون، وأتقن العلوم، وسمع الحديث في صغره من الحافظ أبي بكر ابن المحب، وسمع من خلق منهم بدر الدّين ابن قوَّام،، والعزّ الأبناسي، وابن غشم المرداوي، وغيرهم.

مهرَ في الحديث، وكتبَ وخرَّجَ، وعرف العالي والنَّازل، وخرَّج لنفسه ولغيره، وصار حافظ الشَّام في عصرِه بلا منازع، واشتهر اسمه، وبَعُدَ صِيتُه.

كانَ حسنَ السِّيرةِ، لطيفَ المحاضرة والمحادثة لأهل مجالسه، قليل الوقيعة في النَّاس، كثير الحياء، قلَّ أن يواجه أحدًا بما يكره ولو آذاه.

ونقل عنه الحافظ ابن حجر في تصانيفه، ووصفه بقوله: «صاحبنا الحافظ»، وبقوله: «محدِّث الشَّام في وقته».

وله التَّصانيف الكثيرة الجليلة، منها: «توضيح المشتبه في المؤتلف والمختلف»، ومنظومة «بواعث =

الَّذي تجاوز الحدَّ في تعصُّبِه وعداوتِه، فأطلقَ للسانِه العَنانَ في تكفير ابن تيمية، بل وتكفير مَن لقَّبه بـ: شيخ الإسلام.

فقام حافظ الشَّام ابنُ ناصر الدِّين بالرَّدِّ عليه، ممتثلاً قولَ النَّبيِّ ﷺ: «ما مِن امرئ ينصرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتقَصُ فيه مِنْ عرضِهِ، ويُنتهَكُ فيه مِنْ حُرمَتِهِ، إلَّا نَصَرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتُهُ»(١).

فكيفَ إذا كانَ المُفْتَرى عليه إمامًا كبيرًا، مناقبُه بلغَتِ المشارقَ والمغاربَ، وشهدَ بفضلِه الموافقُ والمخالفُ؟!

وكيف إذا كان ما يُرمى به الكفر؟!

بل كيفَ وقد كُفِّر جميع من لقَّبه بـ: شيخ الإسلام، وهم جمع كبير من العلماء الأفاضل؟!

وقد تكلَّمَ الحافظُ ابنُ حجرَ عمَّا جرى فقال في «إنباء الغُمر بأنباء العُمر»: «وفي هذه السنة ـ أي سنة (٨٣٥ هـ) ـ ثارَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ الحنابلة والأشاعرة بدمشق،

---

= الفكرة في حوادث الهجرة»، و«افتتاح القاري لصحيح البخاري»، و«برد الأكباد عن فقد الأولاد»، و«شرح منظومة الاصطلاح»، «عقود الدُّرر في علوم الأثر»، وغير ذلك من المصنَّفات النَّافعة المفيدة. وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة (٨٣٧ هـ).

توفي في ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الآخر، من سنة (٨٤٢ هـ)، وصلي عليه في جامع التَّوبة، ودفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق.

انظر ترجمته في: «لحظ الألحاظ» للأصفوني (ص٢٠٦-٢٠٩)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص٥٥٠)، و«الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي (١/ ٣٢)، و«البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ١٩٨)، و«الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٣٧).

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٤) من حديث جابر بن عبد الله وأبي طلحة رضي الله عنهم.

وتعصَّبَ الشَّيخُ علاء الدِّين البخاريُّ نزيل دمشق على الحنابلة، وبالغ في الحطِّ على ابن تيمية وصرَّح بتكفيره، فتعصَّب جماعة مِن الدَّماشقة لابن تيمية، وصنَّف صاحبنا الحافظ شمس الدِّين ابن ناصر الدِّين جزءًا في فضل ابن تيمية، وسرد أسماء مَن أثنى عليه مِن أهل عصره فمن بعدهم، على حروف المعجم، مبيِّنًا لكلامِهم، وأرسله إلى القاهرة، فكتب له عليه غالب المصريين بالتَّصويب، وخالفوا علاء الدِّين البخاريَّ في إطلاقه القولَ بتكفيره وتكفيرِ مَنْ أطلق عليه أنَّه شيخ الإسلام، وخرج مرسوم السُّلطان على أنَّ كل أحد لا يعترض على مذهب غيره، ومَن أظهر شيئاً مجمعًا عليه سُمِعَ منه، وسكنَ الأمر»[1].

جمع ابن ناصر الدِّين في كتابه (٨٧) شهادةً مِن كبار العلماء في حقِّ ابن تيمية وتلقيبِهم إيَّاه بلقب: شيخ الإسلام، مع ترجمةٍ لكلِّ فرد مِن هؤلاء العلماء، وتعريف بفضائله ومصنَّفاته.

وهو لم يذكر جميع مَن أثنى على شيخ الإسلام ابن تيمية، بل التزم ذكرَ مَن أثنى عليه ولقَّبه بشيخ الإسلام.

ثم صنفَ العلامةُ مرعيُّ الكرميُّ كتابَه «الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيمية»، اختصر فيه كتابَ «الرَّد الوافر» لابن ناصر الدِّين، مع زياداتٍ عليه، فقام باختصار شهادات العلماء من الكتاب واختار (١٧) شهادة من بين (٨٧) شهادة ذكرها الحافظ ابن ناصر الدين.

ثم عقد فصلًا في وفاةِ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وعظم جنازته التي لم يشهد لها مثيل سوى جنازةِ الإمام أحمدَ بنِ حنبل.

---

(١) انظر: «إنباء الغمر بأنباء العمر» (٣/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

وزادَ عليه تقاريظَ كبارِ العلماءِ لكتاب «الرد الوافر»؛ كالحافظِ ابن حجر والعينيِّ، وهذه التقاريظُ لا تقلُّ أهميةً عن الشهادات المتقدمةِ، بل إنَّ منها ما يعدُّ ترجمةً مُفردةً ومادةً علميةً تميَّز بها كتابُ «الشهادة الزكية».

ثم ختمَ كتابَه بترجمةٍ موجَزةٍ لشيخِ الإسلامِ ابن تيميَّةَ، التزمَ فيها السَّجعَ، وزيَّنها ببعضِ الشِّعر، وجاء فيها بغريبِ الألفاظِ.

وقد بذلنا جهدَنا في خدمة هذا الكتاب، من ضبطِ نصهِ، ومقابلتهِ، وتوثيقِ النُّقول، وترجمة الأعلام، وقُمنا بزيادةِ بعض العناوين الجانبية زيادةً في التوضيح، وجعلناها بين معكوفتين.

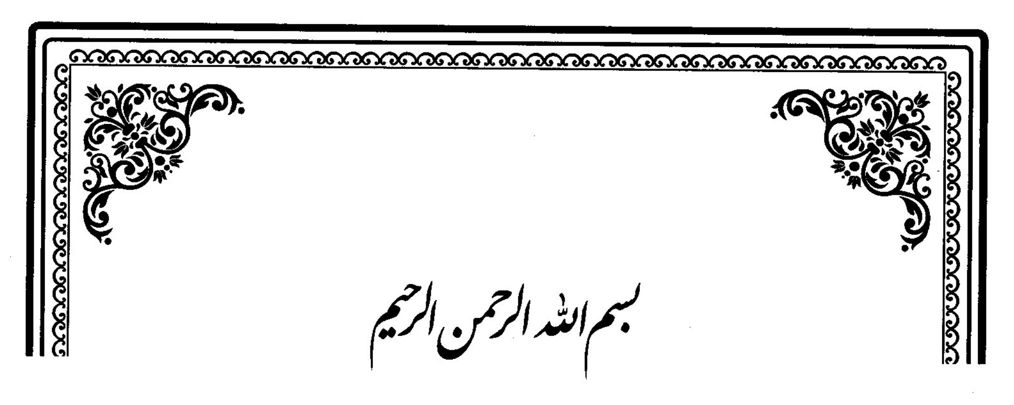
وقد اعتمدنا في تحقيقِ هذا الكتابِ على نُسخةٍ خطيةٍ واحدة، وهي النسخةُ المحفوظةُ في دار الكتب الوطنيةِ بتونس، وأشرنا لها بـ(الأصل) (١). كما أفدنا من مطبوعةِ الكتابِ المنشورةِ بتحقيقِ الدكتور نجم عبد الرحمن خلف جزاهُ الله خيراً والتي اعتمدَ فيها على نُسختينِ إحداهما بخطِّ المؤلفِ لكنَّها ناقصةٌ، والثانية منقولةٌ من خطِّ المصنفِ رحمه الله، وأشرنا لها بـ(ط).

**والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ**

**المحقق**

* * *

(١) ولم يظهر لي تاريخ النسخ، إلا أنه جاء في آخرها بعد تأريخ المؤلف من كتابة مؤلفه هذا وهو ربيع الأول سنة (١١٣٢هـ): (تمت المناقب المباركة في ربيع الثاني سنة ١١٣٢هـ)، انتهى. أي بعد كتابة المؤلف بشهر، فهل هي من المؤلف أم ناسخ الأصل الخطي الذي أيدينا؟!
هذا وقد جاء في نهاية الأصل الخطي الذي اعتمد عليه ناشر الطبعة السابقة الدكتور نجم خلف وذكر أنه بخط مؤلفه: أن مؤلفه انتهى من تأليفه سنة ١٠٣٠هـ.




قالَ العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى مرعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ لطفَ اللهُ تعالى به آمينَ:

الحمدُ للهِ رافعِ مقامِ العلماءِ العاملينَ، وقامعِ أهلِ الزَّيغِ المائلينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أفضَلِ الخلقِ أجمعينَ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ، وعلى التَّابعِينَ وتابعِ التَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعدُ:

فهذه كلماتٌ منيرةٌ، وعباراتٌ مستنيرةٌ، في ثناءِ الأئمَّةِ الأعلامِ، على شيخِ الإسلامِ، بحرِ العلومِ، تُرجمانِ القرآنِ، مفتي الفِرَقِ، أوحدِ المجتهدينَ، أبي العبَّاسِ، أحمدَ تقيِّ الدِّين بن الشَّيخِ الإمامِ شيخِ الإسلامِ مجدِ الدِّينِ عبد السَّلامِ بنِ عبدِ الله بنِ الخَضِرِ بن محمَّدِ بن الخَضِرِ بن عليِّ بنِ عبدِ اللهِ ابن تيميةَ.

واختُلِفَ لم قيلَ: ابنُ تيميةَ؟

فقيلَ: إنَّ جدَّهُ محمَّدَ بنَ الخَضِرِ حجَّ على دربِ تيماءَ[1]، فرأى هناك طفلةً،

---

(١) تيماء: في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاجّ الشام ودمشق، وحاليًا هي محافظة تتبع منطقة تبوك في السعودية. وانظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٦٧)، و«الروض المعطار» للحميري (ص١٤٦)، و«أطلس التاريخ الإسلامي» لشوقي أبو خليل (ص١٣٨).

فلمَّا رجعَ وجدَ امرأتَهُ قد ولدَتْ بِنتًا، فقالَ: يا[١] تيميةُ! يا تيميةُ! فلقِّبَ بذلكَ.

وقيلَ: إن جدَّهُ محمدًا كانت أمَّهُ تُسمَّى تيميةَ، وكانتْ واعظةً فنُسِبَ إليها وعُرِفَ بها.

ولِدَ رحمَه اللهُ يومَ الإثنين، عاشرَ أو ثاني عشرَ ربيعِ الأوَّلِ، سنةَ إحدى وستِّينَ وستِّ مئةٍ، وتوفِّيَ سحرَ ليلةِ الإثنين، في العشرينَ من ذي القعدةِ، سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وسبع مئةٍ، عن سبعٍ وستينَ سنةً.

وقد أثنى الأئمَّةُ الأعلامُ على هذا الإمامِ، ولقَّبوهُ بشيخِ الإسلامِ، وأفردُوا مناقِبَه بالتَّصانيفِ، وتحلَّتْ بذكرِه التَّواريخُ والتَّآليفُ، ولم يتنقِصْهُ إلَّا مَن جهِلَ مقدارَهُ وخطرَهُ، ومَنْ جهِلَ شيئًا أنكرَهُ.

ولقد أنصفَ العلَّامةُ الإمامُ قاضي قضاةِ الإسلامِ بهاءُ الدِّينِ ابنُ السُّبكيِّ حيثُ يقولُ لبعضِ مَن ذكرَ لهُ الكلامَ في ابن تيميةَ فقالَ: واللهِ يا فلانُ! ما يُبغِضُ ابنَ تيميةَ إلَّا جاهلٌ أو صاحبُ هوًى؛ فالجاهِلُ لا يدري ما يقولُ، وصاحبُ الهوى يصدُّهُ هواهُ عن الحقِّ بعدَ معرِفتِهِ به[٢].

ولقد أنصفَ أيضًا الشَّيخُ الإمامُ، والحبرُ الهُمامُ، محمودُ بن أحمدَ العينيُّ[٣]

---

(١) كذا في الأصل، وفي «الكواكب الدرية» وغيره: «تا»، وتا: اسمٌ يُشار به إلى المؤنَّث، مثل ذا للمذكر، يقال: تا فلانة في موضع: هذه فلانة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري، «والصحاح» للجوهري (مادة: تا).

(٢) انظر: «الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص٩٥).

(٣) العيني، قاضي القضاة، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، كان عالمًا، فاضلاً، فقيهًا، بارعًا، محدِّثًا، عارفًا بكثير من الفنون، ماهرًا في النحو والصرف، دخل القاهرة، وولي الحسبة مرارًا وقضاء الحنفية، أكثر من التصانيف والتأليف، وله كتب مطوّلة جدًّا مشهورة؛ منها «عمدة القاري =

إمامُ الحنفيَّةِ في زمنِه، حيثُ قالَ في أثناءِ كلامٍ طويلٍ في مدحِه ابنَ تيميةَ وذمِّ مَن يعيبُه: وليسَ هو إلَّا كالجُعَلِ[١] باشتمَامِ الوردِ يموتُ حتفَ أنفِه، أو كالخُفَّاشِ يتأذَّى ببهورِ سنا الضَّوءِ لسوءِ بصرِهِ وضعفِهِ، وليسَ لهم سجيَّةٌ نقَّادةٌ، ولا رويَّةٌ وقَّادةٌ، وما هم إلَّا صَلْقَعٌ بَلْقَعٌ سَلْقَعٌ[٢]، صَلْمَعَةُ بنُ قَلْمَعَةٍ[٣]، وهَيَّانُ بنُ بَيَّانَ، وهَيُّ بنُ بيٍّ، وضُلُّ بنُ ضُلٍّ، وضَلالُ بنُ التَّلالِ[٤].

ومِنَ الشَّائعِ المستفيضِ أنَّ الشَّيخَ الإمامَ العالمَ العلَّامةَ تقيَّ الدِّينِ ابنَ تيميةَ مِنْ شُمِّ العَرانِيْنِ[٥] الأفاضلِ، ومِن جُمِّ براهينِ الأماثلِ، وأطالَ العينيُّ الكلامَ في مدحِهِ كما سيأتي.

---

= شرح البخاري»، و«شرح الشواهد»، و«شرح معاني الآثار»، و«شرح الهداية»، و«طبقات الحنفية»، وغير ذلك، مات سنة (٨٥٥ هـ). انظر: «حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤)، و«نيل الأمل» لابن شاهين (٥/ ٣٤٦).

(١) الجعل: من الخنافس، العَريض الأَسْود الَّذِي يُدَهْدِي الخُرُوء. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/ ٣١٦).

(٢) يقال: مكان بَلْقَع صَلْقَع، وبلاقِع صَلاقِع؛ أي: الأراضي القِفار الَّتي لا شيء بها، وتجوز فيه السين، قيل: هو سلقع إتباع لبَلقع لا يفرد، وقيل: هو المكان الحزن. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: سلقع)، و«لسان العرب» لابن منظور (مادة: صلقع).

(٣) صلمعة بن قلمعة، أي لا يعرف هو، ولا أبوه، وهو مثل: هي بن بي، وهيان بن بيان، وطامر بن طامر، والضلال بن بهلل. ويقال: فلان ضل بن ضل إذا كان منهمكًا في الضلال. كل ذلك إتباع. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (مادة: ضلل)، و«تاج العروس» للزبيدي (مادة: صلمع). وسيأتي المصنف على شرح هذه الكلمات.

(٤) وانظر تقريظ العيني لكتاب «الرد الوافر» في آخر هذا الكتاب.

(٥) شم العرانين: الشمم: ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً. والعرانين: الأنوف، وهو كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: شمم).

واعلـم أيّـدَكَ اللهُ أنَّ كثيـرًا مِـن الأئمَّـةِ الأماثـلِ والعلمـاءِ الأفاضلِ قـد أفرَدُوا مناقـبَ الشَّـيخِ تقـيِّ الدِّينِ ابـنِ تيميةَ فـي تصانيفَ مشـهورةٍ، وتراجمَ فـي التَّواريخِ مذكورةٍ.

وقد ذكرَ غالبَ العلماءِ الَّذين أثنَوا عليهِ صاحبُ «كتابِ الردِّ الوافرِ» تأليفُ الإمامِ العالمِ الأوحَدِ القُدوةِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بن أبي بكرِ[١] بنِ عبدِ الله بن محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ ناصرِ الدِّينِ الشَّافعيِّ.

وقدْ أحببْتُ أنْ أذكُرَ هنا بعضَ ذلكَ على سبيلِ التَّلخيصِ مع زوائدَ لطيفةٍ؛ رجاءَ أنْ أدخُلَ في سِلْكِ أولئكَ الأئمَّةِ ومَنْ كانوا بينَ أظهُرِ النَّاسِ رحمةً.

***

(١) كذا في الأصل وفي بعض المصادر، والصواب بإسقاط (ابن) بين (أبي بكر) و(عبد الله)، فأبو بكر كنية عبد الله لا ابنه. وقد نبه على ذلك السخاوي في «الضوء اللامع» (٧/ ١٧٥).

(١)

## فمنهم ابنُ سيِّدِ النَّاسِ[١]

وهو الإمامُ الحافظُ الفقيهِ، العالمُ الأديبُ البارعُ، فتحُ الدِّينِ، أبو الفتحِ، محمَّدُ بنُ الحافظِ أبي عَمرٍو محمَّدِ بنِ الحافظِ العلَّامةِ الخطيبِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ أحمدَ بن عبدِ اللهِ بن محمَّدِ بنِ يحيى بن أبي القاسمِ ابن سيِّدِ النَّاسِ، اليعمريُّ، الأندلسيُّ الإشبيليُّ، ثم المصريُّ الشَّافعيُّ.

ولدَ بالقاهرةِ سنةَ إحدى وسبعينَ وستِّ مئةٍ، وتوفِّيَ في شعبانَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وسبعِ مئةٍ بالقاهرةِ، ودُفِنَ بالقَرَافةِ[٢] عندَ ابن أبي جمرة، وكانَت جنازَتهُ مشهودةً، وله مصنَّفاتٌ مفيدةٌ، ومؤلَّفاتٌ حميدةٌ.

قالَ رحمَهُ الله في ترجمتِه لابنِ تيميةَ بعدَ أنْ ذكرَ ترجمةَ الحافظِ المزِّي: وهو الَّذي حداني على رؤيةِ الشَّيخِ الإمامِ شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ عبدِ الحليمِ بن عبدِ السَّلامِ ابنِ تيميةَ، فألفيتُه ممَّن أدرَكَ مِن العلومِ حظًّا، وكادَ أن يستوعِبَ السُّنَنَ والآثارَ حفظًا، إنْ تكلَّمَ في التَّفسيرِ فهو حاملُ رايتِهِ، أو أفتى في الفقهِ فهو مُدرِكُ غايتِه، أو ذاكرَ في الحديثِ فهو صاحبُ علمِهِ وذو روايَتِهِ، أو حاضرَ بالمِلَلِ والنِّحلِ لم يُرَ أوسَعَ مِن نِحلَتِهِ في ذلكَ، ولا أرفعُ مِن درايَتِه.

---

(١) انظر ترجمته: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/ ١٩٧)، و«أعيان العصر» للصفدي (٥/ ٢٠١).

(٢) القرافة: مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة، وبها قبر الإمام أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي، رضي الله عنه، في مدرسة للفقهاء الشافعية، وهي من نزه أهل القاهرة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٣١٧).

بـرزَ فـي كلِّ فـنٍّ على أبناءِ جنسـهِ، ولم تـرَ عيـنُ مَـن رآهُ مثلَـهُ، ولا رأَتْ عينُه مثـلَ نفسِـه، كانَ يتكلَّـمُ فـي التفسـيرِ فيحضُرُ مجلِسَـه الجـمُّ الغفيـرُ، ويـرِدُون مِنْ بحـرِه العـذبِ النَّميرِ، ويرتَعـونَ مِـن ربيـعِ فضلِه فـي روضَـةٍ وغدير، إلـى أنْ دبَّ إلـى أهـلِ بلـدِه داءُ الحسـدِ، وأكـبَّ أهـلُ النَّظرِ منهـم على مـا يُنتقَدُ عليه مِـن أمورِ المعتقَـدِ، فحفِظـوا عنـه فـي ذلـكَ كلامًـا، أوسـعُوه بسـببِه ملامًـا، وفوَّقـوا لتبديعِهِ سـهامًا، وزعمـوا أنَّـه خالَـفَ طريقَهم، وفـرَّقَ فريقَهـم، فنازَعهم ونازَعـوه، وقاطعَ بعضَهـم وقاطعُوه.

ثم نازعَ طائفةً أُخرى ينتسِبونَ مِن الفقرِ إلى طريقةٍ، ويزعمون أنَّهم على أدقِّ باطنٍ منها وأجلى حقيقةٍ، فكشَفَ تلك الطَّرائقَ، وذكرَ لها على ما زعَمَ بوائقَ، فآضَتْ[1] إلى الطَّائفةِ الأولى مِن منازِعِيْه، واستعانت بذوي الضَّغنِ عليه مِن مقاطعِيْه، فوصَلوا بالأمراءِ أمرَه، وأعملَ كلٌّ منهم في أمرِه فكرَه، فرتَّبوا محاضِرَ، وألَّبُوا للسَّعي بها بينَ الاكابر، وسعَوا في نقلِه إلى المملكةِ بالدِّيارِ المصريَّةِ، فنُقِلَ وأُودِعَ السِّجنَ ساعةَ حضُورِه واعتُقِلَ، وعقدُوا لإراقةِ دمِه مجالسَ، وحشدوا لذلك قومًا مِن عُمَّارِ الزَّوايا وسكَّانِ المدارسِ، مِن مجاملٍ في المنازعةِ، مخاتلٍ بالمخادعةِ، ومِن مجاهرٍ بالتَّكفيرِ، مبارزٍ بالمقاطعةِ، يسومُونَه ريبَ المنونِ؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: ٦٩].

فردَّ اللهُ كيدَ كلٍّ في نحرِه، ونجَّاهُ على يدِ من اصطفاهِ؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

ثم لم يخلُ بعدَ ذلكَ مِن فتنةٍ بعدَ فتنة، ولم ينتَقل طولَ عمرِه مِن محنةٍ إلَّا إلى

---

(١) آضت: رجعت وصارت. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: آض).

محنةٍ، إلى أن فوِّضَ أمرُه إلى بعضِ القضاةِ، فتقلَّدَ ما تقلَّدَ مِن اعتقالِه، ولم يزَل بمحبَسِه ذلكَ إلى حين ذهابِه إلى رحمةِ اللهِ وانتقالِه، وإلى اللهِ تُرجَعُ الأمورُ، وهو المطَّلعُ على خائنةِ الأعينِ وما تخفي الصُّدورُ.

وكانَ يومُـه مشـهودًا، وضاقَـت بجنازَتـهِ الطَّريـقُ وانتابهـا المسـلمونَ مِنْ كلِّ فـجٍّ عميـقٍ، يتبرَّكـونَ بمشـهَدِه ليـومٍ تقـومُ الأشـهادُ، ويتمسَّـكون بسـريرِه حتَّـى كسـروا تلك الأعـواد.

ثـم روى عنـه ابنُ سـيِّدِ النَّـاسِ حديثًا فقـالَ: قرأتُ على الشَّـيخِ الإمـامِ حاملِ رايـةِ العلـومِ، ومدركِ غايـةِ الفهـومِ تقيِّ الدِّيـن أبي العبَّـاسِ أحمدَ بن عبـدِ الحليمِ بـن عبـدِ السَّـلامِ ابـن تيميـةَ الحرَّانـي[1] بالقاهـرةِ، ثـم ذكـرَ سـندَهُ إلى الحسـنِ بن عرفـةَ، فروى مِـن (جزئـه) حديثًا[2].

* * *

(١) نسبة إلى حران: من ديار مضر في الجزيرة قرب الرها ونهر الفرات، مدينة قديمة يقال: بناها هاران أخو إبراهيم عليه السلام، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد عياض بن غنم، كانت مجمع الصابئين، وبقي فيها بعضهم، وينسب لها كثير من العلماء، تقع حاليًّا في جنوب تركيا قرب الحدود السوريَّة، تتبع إداريًّا لمحافظة أورفة. وانظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٢٣٥)، و«الروض المعطار» للحميري (١/ ١٩١)، و«أطلس التاريخ الإسلامي» لشوقي أبو خليل (ص٨٨).

(٢) انظر: «أجوبة ابن سيد الناس على سؤالات ابن أيبك الدمياطي» (٢/ ٢٢١)، و«العقود الدرية» (ص٢٦)، و«الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص٢٦)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٨٢).

(٢)

## ومنهم ابنُ دقيقِ العيدِ

وهو الشَّيخُ العلَّامةُ الإمام، أحد شيوخِ الإسلامِ، قاضي قضاةِ المسلمينَ، عمدةُ الفقهاءِ والمحدِّثينَ، تقيُّ الدِّين، أبو الفتحِ، محمَّدُ بن عليِّ بن وهبِ بنِ مطيعٍ المنفلوطِيُّ المالكيُّ الشَّافعيُّ، ماتَ عامَ اثنين وسبع مئةٍ.

كانَ إمامًا حافظًا فقيهًا ذا تحريرٍ، مالكيًّا شافعيًّا ليسَ له نظيرٌ، وكانَ يفتي بالمذهبَينِ، ويدرِّس فيهما بمدرسةِ الفاضلِ على الشَّرطَيْن، وله اليدُ الطُّولى في معرفةِ الأصلَيْن.

ولَمَّا قَدِمَ التَّتارُ إلى أطرافِ البلاد الشَّاميَّةِ سنةَ سبع مئةٍ ركبَ ابن تيمية على البريدِ من دمشقَ الى مصرَ، فدخلَها في ثامنِ يومٍ، وحثَّ السُّلطانَ والعساكرَ على قتالِ التَّتارِ، واجتمعَ به أعيانُ البلدِ، ومنهم ابنُ دقيقِ العيدِ، فسمعَ كلامَ ابنِ تيميةَ، وقالَ لهُ بعدَ سماعِ كلامهِ: ما كنْتُ أظنُّ أنَّ اللهَ تعالى بقيَ يخلُقُ مثلكَ[1].

وسُئِلَ ابنُ دقيقِ العيدِ بعدَ انقضاءِ ذلك المجلسِ عن ابنِ تيميةَ فقالَ: هو رجلٌ حُفَظَةٌ، فقيلَ له: هلا تكلَّمْتَ معهُ؟ فقالَ: هو رجلٌ يحبُّ الكلامَ، وأنا أحبُّ السُّكوتَ[2].

وقالَ ابنُ دقيق العيدِ أيضًا: لَمَّا اجتمعْتُ بابنِ تيميةَ رأيتُ رجلًا العلومُ كلُّها بين عينيهِ يأخذُ منها ما يريدُ، ويدعُ ما يريدُ[3].

***

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٣)، و«مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٨).

(٢) انظر: «العقود الدرية» (ص١٣٥)، و«الرد الوافر» (ص٥٩).

(٣) انظر: «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٨)، و«مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٨)، و«الرد الوافر» (ص٥٩).

(٣)

## ومنهم ابنُ الورديِّ[١]

زينُ الدِّينِ عمرُ، كانَ علَّامةً مُتفنِّنًا في العلومِ، ماهرًا في المنثورِ والمنظومِ، وله الأشعارُ الرَّائقةُ والمقاطيعُ الفائقةُ، وكانَ باهرًا في العربيَّةِ، درَّسَ وأعادَ وأفتى، وله مؤلَّفاتٌ مفيدةٌ منها: «البهجةُ نظمُ الحاوي الصَّغيرِ»[٢]، توفي بحلبَ سنةَ تسعٍ وأربعين وسبع مئةٍ.

قالَ في «رحلَتِهِ» لَمَّا ذكرَ علماءَ دمشقَ: وتركْتُ التَّعصُّبَ والحميةَ، وحضرْتُ مجالسَ ابنِ تيميةَ، فإذا هوَ بيتُ القصيدةِ[٣]، وأولُ الخريدةِ[٤]، علماءُ

---

(١) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، القاضي الأجل، الإمام الفقيه، الأديب الشاعر، زين الدين ابن الوردي المعرِّي الشَّافعي، أحد فضلاء العصر وفقهائه، وأدبائه وشعرائه، تفنن في العلوم، وأجاد في المنثور والمنظوم، نظمه جيد إلى الغاية، وفضله بلغ النهاية، توفي بحلب بالطاعون، سنة (٧٤٩هـ). انظر: «أعيان العصر» للصفدي (٣/ ٦٧٥)، و«طبقات الشافية الكبرى» للسبكي (١٠/ ٣٧٣).

(٢) «البهجة الوردية» أو «بهجة الحاوي» نظم «الحاوي الصغير»، والحاوي للشيخ نجم الدين عبد الغفار القزويني، خمسة آلاف بيت. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٦٢٦)، و«معجم المطبوعات العربية» (١/ ٢٨٣).

(٣) (بيت القصيدة) يضرب مثلًا في تفضيل بعض الشيء على كله. انظر: «ثمار القلوب» للثعالبي (ص٦٥٩).

(٤) كذا في الأصل، والخريدة: الدرة التي لم تثقب، والبكر التي لم تمس، ولعل الصواب كما في بعض كتب الأدب: أول الجريدة، لأن من معاني الجريدة المجازية: الجيش لا رجَّالة فيه، فهي أنسب لأنَّها تدل على التَّصدُّر والسَّبق، وأوفق للسياق. انظر: «سحر البلاغة» للثعالبي (ص٦٨)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٣/ ٦٣٥)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: خرد)، و«تاج العروس» للزبيدي (مادة: جرد).

زمانِـهِ فلـكٌ هـو قطبُهُ، وجسـمٌ هـو قلبُهُ، يزيـدُ عليهم زيـادةَ الشَّـمسِ علـى البدرِ، والبحـرِ علـى القَطرِ.

بحثتُ بين يديهِ يومًا، فأصبتُ المعنى، فكنَّاني، وقبَّل بينَ عيني اليُمنى، فقلْتُ:

إنَّ ابـــنَ تـيـمـيــةٍ فــي كلِّ العلـومِ أوحـدْ

أحييْــتَ ديــنَ أحمــدٍ وشــرعَه يــا أحمــدْ[1]

ورثاه بعدَ موتِه بقصيدةٍ يقولُ فيها:

قلـوبُ النَّـاسِ قاسِـيةٌ سِـلاطُ وليــسَ لهــا إلــى العَليـا نشَـاطُ[2]

أينـشَـــطُ قـــطٌّ وفـــاةِ حـبــرٌ لنــا مِــن نثــرِ جوهَــرِه التِقــاطُ

تَقـــيُّ الدِّيـــنِ ذو وَرَعٍ وعلـــمٍ خُــروقُ المعضِــلاتِ بــهِ تُخــاطُ

قضَـــى نَحْبًـــا وليـــسَ لـــه قَريـــنٌ ولا لنظِيـــرِه لُـــفَّ القِمـــاطُ[3]

فتـــىً فـــي علمِــه أضحَــى فريــدًا وحــلُّ المشــكلاتِ بــهِ يُنــاطُ[4]

وهي طويلةٌ، وقد ذكرتُها كلَّها مع مراثيَ عديدةٍ في كتابِ «المناقبِ» فيراجَع.

***

---

(١) انظر: «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٩).

(٢) كذا في الأصل، وجاء مطلع القصدية في «تاريخ ابن الوردي»:

عثـا فـي عرضه قـوم سلاط لـهم مـن نثر جوهـره التقاط

تقـي الدين أحمـد خير حبر خـروف المعضلات به تخاط

(٣) القماط: الخرقة التي تلف على الصبي إذا شد في المهد. انظر: «المغرب» للمطرزي (مادة: قمط).

(٤) انظر: «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٥).

## (٤)

## ومنهم أبو حيَّانَ النَّحويُّ

وهو الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ علَمُ القرَّاءِ، أستاذُ النُّحاةِ والأُدباءِ، جمالُ المفسِّرينَ، أثيرُ الدِّينِ، أبو حيَّانَ محمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ بن حيَّانَ الأندلسيُّ الجيَّانيُّ الغرناطيُّ ثم المصريُّ الظَّاهريُّ.

ولِدَ بأعمالِ غرناطةَ قاعدةِ بلادِ الأندلُسِ، في شوالِ سنةَ أربعٍ وخمسِينَ وستِّ مئةٍ، وتوفِّيَ في صفرٍ سنةَ خمسٍ وأربعينَ وسبع مئةٍ، بعد أن أضرَّ في آخرِ عمُرِه.

قالَ القاضي الفاضلُ ابنُ فضلِ الله العمريُّ: ولَمَّا سافرَ ابنُ تيميةَ على البريدِ سنةَ سبع مئةٍ، وحضَّ أهلَ مصرَ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وأغلظَ في القولِ للسُّلطانِ والأمراءِ، ثم رُتِّبَ له في مدَّةِ مقامهِ بالقاهرةِ في كلِّ يومٍ دينارٌ وتحفةٌ، وجاءتهُ بُقجَةُ قماشٍ، فلم يقبَلْ من ذلكَ شيئًا.

قالَ: وحضَرَ عندَهُ شيخُنا أبو حيَّانَ، وكانَ علَّامةَ وقتِه في النَّحوِ فقالَ: ما رأَتْ عينايَ مثلَ ابن تيميةَ، ثم مدَحهُ أبو حيَّانَ على البديهَةِ في المجلسِ فقالَ:

لَمَّا أَتَينا تقِيَّ الدِّينِ لاحَ لنا ... داعٍ إلى اللهِ فردٌ ما لَهُ وَزَرُ

على مُحيَّاهُ مِن سِيما الأُولى صَحِبوا ... خَيرَ البريَّةِ نورٌ دُونَه القمَرُ

حَبرٌ تسربَلَ منهُ دَهرُهُ حِبرًا ... بحرٌ تقاذَفَ مِنْ أمواجِهِ الدُّرَرُ

قامَ ابنُ تَيميَةَ في نصْرِ شِرعَتِنا ... مُقامَ سيِّدِ تَيمٍ[1] إذْ عَصتْ مُضَرُ

---

(١) سيد تيم: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، شبهه به في حربه ضد المرتدين. وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن الكلبي (ص١٥)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٦٩).

فأظهَرَ الحقَّ إذ آثارُهُ درَسَتْ ... وأخمَدَ الشَّرَّ إذ طارَتْ لهُ الشَّرَرُ

كُنا نُحدَّثُ عن حَبرٍ يجيءُ فها ... أنتَ الإمامُ الذي قدْ كانَ يُنتَظَرُ

قالَ: ثم دارَ بينهُما كلامٌ فيه ذكرُ سيبويهِ، فقالَ ابنُ تيميةَ فيه كلامًا نافرَهُ عليهِ أبو حيَّانَ، وقطعَهُ بسببِه، ثم عادَ مِن أكثرِ النَّاسِ ذمًّا لهُ، واتَّخذَهُ له ذنبًا لا يُغفَرُ[١].

وقالَ الشَّيخُ زينُ الدِّينِ ابنُ رجبٍ في كتابِه: «الطَّبقاتِ» عن هذهِ الأبياتِ: ويقالُ: إنَّ أبا حيَّانَ لم يقُل أبياتًا خيرًا منها ولا أفحَلَ. انتهى[٢].

وهذه القصَّةُ ذكرَها الحافظُ العلَّامةُ ابنُ كثيرٍ في «تاريخِهِ» وهي أنَّ أبا حيَّانَ تكلَّمَ معَ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ في مسألةٍ في النَّحوِ، فقطعَهُ ابنُ تيميةَ فيها وألزمَهُ الحجَّةَ، فذكرَ أبو حيَّانَ كلامَ سيبويهِ فقالَ ابنُ تيميةَ: يفشرُ سيبويهِ، أسيبويهِ نبيُّ النَّحوِ أرسلَهُ اللهُ به حتَّى يكونَ معصومًا؟! سيبويهِ أخطأَ في القرآنِ في ثمانين موضعًا لا تفهمُها أنتَ ولا هوَ.

قالَ: وكان ابنُ تيميةَ لا تأخذُهُ في الحقِّ لومةُ لائمٍ، وليسَ عندَهُ مداهنةٌ، وكان مادِحُه وذامُّه في الحقِّ عندَه سواءً[٣].

***

---

(١) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٨)، و«الرد الوافر» (ص٦٣)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٧٧). وانظر الأبيات في «ديوان أبي حيان» (ص٤٤٧).

(٢) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٥٠٢).

(٣) لم أقف عليه في «البداية والنهاية» لابن كثير. وانظر: «الرد الوافر» (ص٦٥)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٧٨)، و«البدر الطالع» (١/ ٧٠).

(٥)

## ومنهم ابنُ القيِّمِ[1]

وهو العلَّامةُ شمسُ الدِّينِ الحنبليُّ، أحدُ المحقِّقينَ، علَمُ المصنِّفينَ، نادرةُ المفسِّرينَ، أبو عبدِ اللهِ، محمَّد بن أبي بكرِ بنِ أيُّوبَ بنِ سعدِ بنِ حريزٍ الزُّرعيُّ الأصلِ[2]، ثم الدِّمشقيُّ، ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ، وتلميذُ ابنُ تيميةَ.

لـه التَّصانيـفُ الأنيقـةُ، والتآليفُ التـي في علومِ الشـريعةِ والحقيقةِ، ولدَ سـنةَ إحـدَى وتسـعينَ وسـتِّ مئـةٍ، وماتَ فـي رجبٍ سـنةَ إحدَى وخمسـينَ وسـبعِ مئةٍ بدمشقَ.

وكان قد لازمَ ابنَ تيميةَ، وأخذَ عنه عِلمًا جمًّا، فكانَ ذا فنونٍ مِن العلومِ، صاحبَ إدراكٍ لسرائرِ المنطوقِ والمفهومِ، وبرعَ في علمِ الحديثِ بحيثُ انتهت إليهِ فيه الرِّئاسةُ.

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ محمَّدُ ابن المحبِّ: قلْتُ لشيخِنا الحافظِ المزيِّ: ابنُ القيمِ في درجةِ ابنِ خزيمةَ؟ فقالَ: هو في هذا الزَّمانِ كابنِ خُزيمةَ في زمانهِ[3].

ومن مُصنَّفاتِه: «زادُ المعادِ في هدي خيرِ العبادِ» في أربعةِ مجلداتٍ، وكتابُ «سفرِ الهجرَتينِ وبابِ السَّعادَتينِ».

---

(١) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٨/ ٥٢٣)، و«أعيان العصر» للصفدي (٣/ ٣٦٦)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥/ ١٣٧)، و«المقصد الأرشد» لابن مفلح (٢/ ٣٨٤).

(٢) الزُّرَعي: نسبة إلى قرية من قرى حوران، وتسمى حاليًّا: إزرع ـ والله أعلم ـ تتبع إداريًّا لمحافظة درعا، في سورية.

(٣) انظر: «الرد الوافر» (ص٦٨).

قالَ رحمَه اللهُ في ترجمتِه لابن تيميةَ: شيخُ الإسلامِ والمسلمينَ، القائمُ ببيانِ الحقِّ ونصرةِ الدِّينِ، الدَّاعي إلى اللهِ ورسولِه، المجاهدُ في سبيلِه، الذي أضحكَ اللهُ به مِن الدِّينِ ما كانَ عابسًا، وأحيا مِن السُّنَّةِ ما كانَ دارسًا، والنُّورُ الَّذي أطلعَه اللهُ في ليلِ الشُّبهاتِ فكشَفَ به غياهِبَ الظُّلماتِ، وفتحَ به مِن القلوبِ مُقفلَها، وأزاحَ به عن النُّفوسِ عِلَلها، فقمَعَ به زيغَ الزَّائغينَ، وشكَّ الشاكِّينَ، وانتحالَ المبطِلينَ، وصدقَتْ بهِ بشارةُ رسولِ ربِّ العالمينَ، يقولُ: «إنَّ اللهَ يبعثُ لهذهِ الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يجدِّد لها دينَها»[1]. وبقولِهِ: «يحمِلُ هذا العلمَ مِن كلِّ خلفٍ عُدولُه، ينفُونَ عنهُ تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المبطِلينَ»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن وضاح في «البدع» (١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٦) مرسلاً من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. وقال العقيلي: فيه معان بن رفاعة السلامي، ولا يعرف إلا به وقد رواه قومًا مرفوعًا من جهة لا تثبت.

ورواه ابن وضاح في «البدع» (٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٩١١) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري عن ثقة عنده من أشياخه.

ورواه تمام في «فوائده» (٨٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البزار في «مسنده» (٩٤٢٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٩) من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال البزار: وخالد بن عمرو هذا منكر الحديث قد حدث بأحاديث عن الثوري وغيره لم يتابع عليها وهذا مما لم يتابع عليه وإنما ذكرناه لنبين العلة فيه.

ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٨٨٤) (١٠/ ١٧) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. =

وهو الشَّيخُ العلَّامةُ، الزَّاهدُ العابدُ، الخاشعُ النَّاسكُ، الحافظُ المتَّبعُ، تقيُّ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ ابنُ الشَّيخِ الإمامِ العلَّامةِ شيخِ الإسلامِ أبي المحاسنِ عبدِ الحليم بن شيخِ الإسلامِ ومفتي الفرَقِ علامةِ الدُّنيا مجدِ الدِّينِ عبدِ السَّلامِ بنِ الشَّيخِ الإمامِ العلَّامةِ الكبيرِ شيخِ الإسلامِ فخرِ الدِّينِ عبدِ اللهِ بن أبي القاسمِ بن محمَّدِ ابنِ تيميةَ الحرانيُّ، قدَّسَ اللهُ روحَه، ونوَّرَ ضريحَهُ[١].

قالَ ابنُ القيِّم: وسمعْتُ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةَ يقولُ: إنَّ في الدُّنيا جنَّةً مَن لم يدخُلْها لم يدخُل جنَّةَ الآخرة[٢].

وكانَ يقولُ: بالصَّبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّينِ[٣].

وكان يقولُ: لا بدَّ للسَّالكِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ همَّةٍ تسيِّره وترقِّيه، وعلمٍ يبصِّرُه ويهديه[٤].

وقال: العارفُ يسيرُ بينَ مشاهدةِ المِنَّةِ ومُطالعةِ عيبِ النَّفسِ[٥].

---

= قال القسطلاني في «إرشاد الساري» (١/ ٤): وهذا الحديث رواه من الصحابة علي وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وابن عباس وجابر بن سمرة ومعاذ وأبو هريرة رضي الله عنهم، وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة، كما صرّح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البرّ، لكن يمكن أن يتقوّى بتعدد طرقه ويكون حسنًا كما جزم به ابن كيكلدي العلائي. وانظر: «بغية الملتمس» للعلائي (١/ ٣٤).

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص٦٧).

(٢) انظر: «الوابل الصيب» (ص٤٨)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٥٢) كلاهما لابن القيم.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ١٥٣).

(٤) انظر: «الرد الوافر» (ص٦٩)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٤٦).

(٥) انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (ص٧).

وكانَ يتمثَّلُ كثيرًا:

عوَى الذِّئْبُ فاستأنسْتُ بالذِّئْبِ إذْ عوَى ... وصوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ[1]

وكانَ يتمثَّلُ أيضاً:

وأخرُجُ مِنْ بينِ البيوتِ لعلَّني ... أُحدِّثُ عنكِ النَّفسَ في السِّرِّ خالِيا[2]

***

(١) البيت للأحيمر السعدي. انظر: «الحماسة الصغرى» لأبي تمام (ص٣٤)، و«الحيوان» للجاحظ (١/ ٢٥١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٧٧٤).

(٢) البيت لمجنون ليلى، كما في «ديوانه» (ص٢٩٤).

(٦)

## ومنهُم ابنُ الزَّملكانيِّ[١]

وهـو الشـيخُ الإمـامُ العلامةُ قاضـي القضاةِ جمـالُ المناظريـنَ، كمـالُ الدِّينِ أبـو المعالـي محمَّـدُ بن أبي الحسـنِ علـيِّ بنِ عبـدِ الواحـدِ ابـنِ خطيـبِ زَمَلْكا[٢] الأنصاريُّ الشَّـافعيُّ.

أخذَ النَّحوَ عنِ ابنِ مالكٍ، والفقهَ عنِ الشَّيخِ تاجِ الدِّينِ بن عبد الرَّحمنِ، والأصولَ عن قاضي القضاةِ بهاءِ الدِّينِ ابن الزَّكيِّ.

وكانَ كثيرَ الفَضْلِ، سريعَ الإدراكِ، يتوقَّدُ ذكاءً وفِطنةً، وأجمعَ النَّاسُ على فضلِهِ، وانتهَت إليه رئاسةُ المذهبِ في عصرِه، وتولَّى قضاءَ حلبَ، وأقامَ بها إلى أن طُلِبَ إلى مصرَ ليتولَّى قضاءَ دمشقَ، فماتَ بمدينةِ بلبيسَ[٣] في رمضانَ سنةَ سبعٍ وعشرينَ وسبع مئةٍ، وحُمِلَ إلى القَرَافةِ، ودُفنَ بجوارِ قُبَّةِ الإمامِ الشَّافعيِّ، وكان مولدُهُ في شوالٍ سنةَ ستٍّ أو سبعٍ وستينَ وست مئةٍ.

تولَّى مناظرةَ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ غيرَ ما مرَّةٍ، ومعَ ذلك كانَ يعترِفُ بإمامَتِه ولا ينكِرُ فضلَهُ.

---

(١) محمد بن علي بن عبد الواحد ابن خطيب زملكا، كمال الدِّين، أبو المعالي الأنصاري السَّمَّاكي الزَّمَلْكاني، قاضي القضاة بحلب، شيخ الشافعية في عصره، توفي سنة (٧٢٧هـ). انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٢٤٦)، و«أعيان العصر» للصفدي (٤/ ٦٢٤).

(٢) زملكا: قرية في غوطة دمشق الشرقية. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١٥٠).

(٣) بلبيس: مدينة قديمة، تتبع حاليًا لمحافظة الشَّرقيَّة في مصر. انظر: «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» لمحمد رمزي (٢/ ٢٣)

قالَ مرَّةً عن الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ: كانَ إذا سُئِلَ عن فنٍّ مِن العلمِ ظنَّ الرَّائي والسَّامعُ أنَّه لا يعرِفُ غيرَ ذلكَ الفنِّ، وحكمَ أن أحدًا لا يعرِفُ مثلَهُ[1].

وقالَ الحافظُ ابنُ رجبٍ في «طبقاتِه»: وبلغَني من طريقٍ صحيحٍ عن ابنِ الزملكانيِّ أنَّه سُئِلَ عن الشَّيخِ ـ يعني: ابنَ تيميةَ ـ فقالَ: لم يُرَ مِنْ خمس مِئةِ سنةٍ ـ أو قالَ: أربع مِئةِ سنةٍ الشَّكُّ مِن النَّاقلِ وغالبُ ظنِّهِ أنَّه قالَ: مِن خمس مِئةِ سنةٍ ـ أحفَظ منهُ. انتهى[2].

وقالَ ابنُ الزَّملكانيِّ أيضًا: لقد أُعطِيَ ابنُ تيميةَ اليدَ الطُّولى في حسنِ التَّصنيفِ، وجودَةِ العبارةِ، والتَّرتيبِ والتَّقسيمِ والتَّبيينِ، وقد ألانَ اللهُ له العلومَ كما ألانَ الحديدَ لداودَ، كان إذا سئلَ عن فنٍّ من العلمِ ظنَّ الرائي والسامعُ أنه لا يعرِفُ غيرَ ذلكَ الفنِّ، وحكمَ أن أحدًا لا يعرفُ مثلَهُ، وكانَ الفُقهاءُ من سائرِ الطوائفِ إذا جلسُوا معه استفادوا في مذهَبِهم منهُ ما لم يكُونوا عرفوه قبلَ ذلكَ، ولا يُعرَفُ أنه ناظرَ أحدًا فانقطَعَ معهُ، ولا تكلَّمَ في علمٍ من العلومِ سواءٌ كان من علومِ الشَّرعِ أم من غيرِها إلَّا فاقَ فيه أهلَه والمنتسِبينَ إليهِ[3].

وقد رويَ واشتهرَ، وذكِرَ وانتشَرَ ما كتبَهُ الشيخُ كمالُ الدِّينِ ابنُ الزَّملكانيِّ على «كتابِ بيانِ الدَّليلِ على بطلانِ التَّحليلِ» تأليفِ ابن تيميةَ، هو ما نصُّهُ: مِنْ مصنَّفاتِ سيِّدِنا وشيخِنا وقُدوَتِنا، الشَّيخِ الإمامِ، العالمِ العلَّامةِ، الأوحدِ البارعِ الحافظِ، الزَّاهدِ الورِعِ القُدوةِ، الكاملِ العارفِ، تقيِّ الدِّينِ، شيخِ الإسلامِ، سيِّدِ العُلماءِ، قُدوةِ الأئمَّةِ

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٣)، و«الرد الوافر» (ص٥٦)، و«شذرات الذهب» (٨/ ١٤٤).

(٢) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٨٩)، و«مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٧)، و«الرد الوافر» (ص٥٨).

الفضلاءِ، ناصرِ السُّنَّةِ وقامعِ البدعةِ، حجَّةِ اللهِ على العبادِ، رادِّ أهلِ الزَّيغِ والعِنادِ، أوحدِ العلماءِ العاملينَ، آخرِ المجتهدينَ، أبي العبَّاسِ، أحمدَ بنِ عبدِ الحليمِ بنِ عبدِ السَّلامِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي القاسمِ بن محمَّدٍ، ابن تيميةَ الحرَّانيِّ، حفِظَ الله على المسلمينَ طولَ حياتِه، وأعادَ عليهم من بركاتِه إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ[١].

وكتبَ ابنُ الزملكاني أيضاً بخطِه على «كتابِ رفعِ الـمَلامِ عنِ الأئمَّةِ الأعلامِ» ما نصُّه: تأليفُ الشَّيخِ الإمامِ، العلَّامةِ الأوحدِ، الحافظِ المجتهدِ، الزَّاهدِ العابدِ القدوةِ، إمامِ الأئمَّةِ، قدوةِ الأمَّةِ، علَّامةِ العلماءِ، وارثِ الأنبياءِ، آخرِ المجتهدِينَ، أوحدِ علماءِ الـدِّيـنِ، بـركـةِ الإسـلامِ، حجَّةِ الأعلامِ، برهانِ المتكلِّمينَ، قامعِ المبتدعِينَ، محيي السُّنَّةِ، ومَنْ عظُمَتْ بنفعِه علينا المنَّةُ، وقامَتْ به على أعدائِهِ الحـجَّـةُ، واستبـانَتْ ببركَتِه وهديِه المحجَّةُ، تقيِّ الدِّينِ، أبي العبَّاسِ، أحمدَ بن عبدِ الحليمِ بن عبدِ السَّلام ابنِ تيميةَ، أعلى اللهُ منارَه، وشيَّدَ مِنَ الدِّينِ أركانَهُ.

ثم قالَ:

مـــاذا يقـــولُ الواصِفُــونَ لــهُ ... وصِفاتُــه جلَّـتْ عــنِ الحَصْــرِ

هـــو حـجَّـــةُ اللهِ قـــاهـــرةٌ ... هـــو بينَنـــا أُعجوبَـــةُ الدَّهْـــرِ

هــو آيــةٌ فــي الخَلْــقِ ظاهــرَةٌ ... أنوارُهــا أربَــتْ علــى الفَجــرِ[٢]

* * *

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٤)، و«الرد الوافر» (ص٥٧)، وذكر محققه الشيخ زهير شاويش أنه رأى خط ابن الزملكاني بتقريظ الكتاب المذكور.

(٢) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٥)، و«تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٨)، و«الرد الوافر» (ص٥٧).

(٧)

## ومنهم الحافظ الذَّهبيُّ

وهو الشَّيخُ الإمامُ، الحافِظُ الهُمامُ، مفيدُ الشَّامِ، ومؤرِّخُ الإسلامِ، ناقدُ المحدِّثينَ، وإمامُ المعدِّلينَ والمجرِّحينَ، إمامُ أهل التَّعديلِ والجرحِ، والمعتمَدُ عليهِ في المدحِ والقدحِ، شمسُ الدِّينِ، أبو عبدِ اللهِ، محمَّدُ بنُ أحمدَ بن عثمانَ التُّركمانيُّ، الفارِقيُّ الأصلِ، ثم الدمشقيُّ.

ولدَ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ، وماتَ بدمشقَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وسبعِ مئةٍ، ومشيَختُه بالسَّماعِ والإجازةِ نحوُ ألفِ شيخٍ وثلاث مئةٍ، يجمَعُهم «معجَمُه الكبيرُ»[١].

وكان آيةً في نقدِ الرِّجالِ، عُمدةً في الجرحِ والتَّعديلِ، عالمًا بالتَّفريعِ والتَّأصيلِ، إمامًا في القراءاتِ، فقيهًا في النَّظريَّاتِ، له دُرْبةٌ بمذاهبِ الأئمَّةِ وأربابِ المقالاتِ، قائمًا بينَ الخلفِ بنشرِ السُّنَّةِ ومذهَبِ السَّلفِ.

ومن كلامِه رحمَهُ اللهُ:

الفقــهُ قــالَ اللهُ قــالَ رســولُــهُ ... إن صــحَّ والإجمــاعُ فاجهَــد فيــهِ

وحـذارِ مِـنْ نَصْـبِ الخِـلافِ جَهالةً ... بيــنَ الـنَّبــيِّ وبــينَ رأيِ فقِيـهِ[٢]

---

(١) صنَّف الذَّهبيُّ «المعجم الكبير» وذكر فيه أسماء شيوخه، وقال في مقدمته: «أمَّا بعد فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد بن عثمان...» إلى أن قالَ: «يشتمل على ذكر من لقيته أو كتب إلي بالإجازة في الصِّغر، وعلى كثير من المجيزين لي في الكبر، ولم أستوعبهم، وربما أجاز لي الرَّجل ولم أشعر به، بخلاف ما سمعته منه فإني أعرفه».

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص٣١)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ١١١٦).

ولـه المؤلَّفـاتُ المفيـدَةُ، والمصنَّفاتُ السَّـديدةُ، منهـا: «تاريخُ الإسـلامِ» في عشـرينَ مُجلَّـدًا، و«سـيرُ النُّبلاءِ» في عشـرينَ مجلَّـدًا، و«ميـزانُ الاعتـدالِ في نقدِ الرِّجـالِ» وغيـرُ ذلكَ.

وهو الَّذي قالَ فيهِ بعضُ العلماءِ الأعلامِ عندَ اجتماعِه بِهِ بدمشقَ والشَّامِ:

مـا زِلْتُ بالسَّـمْعِ أهواكُمْ وما ذُكِرَتْ أخبـارُكـم قـطُّ إلَّا مِلْـتُ مِنْ طَرَبِ

وليسَ مِـنْ عَجَـبٍ أنْ مِلْـتُ نحوَكُمُ فالنَّاسُ بالطَّبْعِ قَدْ مالُوا إلـى الذَّهَبِ[1]

وقـد ترجَـمَ الذَّهبـيُّ هذا ابـنَ تيميةَ في عـدَّةِ مواضعَ، وأثنـى عليهِ ثناءً حسـنًا؛ فقـالَ فـي كتابةِ طبقَةِ[2] سـماعِ «كتـابِ رفعِ الملامِ عـن الأئمَّةِ الأعلامِ»: سَـمِعَ هذا الكتـابَ علـى مؤلِّفِه شـيخِنا الإمـامِ العالـمِ العلَّامةِ الأوحَدِ، شـيخِ الاسـلامِ، مُفتي الفِـرقِ قُـدوةِ الأمَّـةِ، أعجوبَةِ الزَّمـانِ، بحرِ العلـومِ، حَبرِ القـرآنِ، تقيِّ الدِّينِ، سـيِّدِ العُبَـادِ، أبـي العبَّـاسِ، أحمـدَ بـنِ عبـدِ الحليمِ بنِ عبـدِ السَّـلامِ ابنِ تيميـةَ رضي الله عنـهُ، وذكرَ بقيَّـةَ الطَّبَقَةِ[3].

وكتـبَ الذَّهبـيُّ أيضًـا تحـتَ خـطِّ الشَّـيخِ تقـيِّ الدِّيـنِ ابـنِ تيميـةَ: هـذا خطُّ شـيخِنا الإمـامِ، شـيخِ الإسـلامِ، فَردِ الزَّمـانِ، بحـرِ العلومِ، تقـيِّ الدِّينِ، قـرأ القرآنَ

---

(١) قائل البيتين هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الأُطْرابلسي الشافعي، لما قدم دمشق متوجها إلى الحج سنة (٧٣٤هـ). انظر: «الرد الوافر» (ص٣٢)، و«شذرات الذهب» (٨/ ٤٠٦).

(٢) الطبقة والطباق: ما يكتب في أول الكتاب أو آخره من تقييد السماع، وتاريخه، والإجازة، وما يتبع ذلك. انظر: «فتح المغيث» للسخاوي (٣/ ١١٤)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (١/ ٤٤٣).

(٣) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٥)، و«الرد الوافر» (ص٣٣).

والفقهَ، وناظرَ واستدَلّ وهو دونَ البلوغِ، برعَ في العلمِ والتَّفسيرِ، وأفتى ودرَّسَ وله نحوُ العشرينَ، وصنَّفَ التَّصانيفَ، وصارَ مِنْ أكابرِ العُلماءِ في حياةِ شُيوخِه، وله المصنَّفاتُ الكِبارُ الَّتي سارَت بها الرُّكبانُ، ولعلَّ تصانيفَه في هذا الوقتِ تكونُ أربعةَ آلافِ كُرَّاسٍ وأكثرَ.

وفسَّرَ كتابَ اللهِ تعالى مدَّةَ سنينَ مِنْ صَدرِه في أيَّامِ الجُمَعِ، وكان يتوقَّدُ ذكاءً، وسماعاتُه مِنَ الحديثِ كثيرةٌ، وشيوخُه أكثرُ مِنْ مِئتي شيخٍ، ومعرِفتُه بالتَّفسيرِ إليها المُنْتَهى، وحفظُه للحديثِ ورجالِه وصحَّتِه وسُقمِه فما يُلحَقُ فيه.

وأمَّا نقلُهُ للفقهِ ومذاهبِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ فضلًا عن المذاهبِ الأربعةِ فليسَ له فيه نظيرٌ، وأمَّا معرِفَتُه بالمِلَلِ والنِّحَلِ والأصولِ والكلامِ فلا أعلَمُ له فيه نظيرًا، ويَدرِي جُمْلةً صالحةً مِنَ اللُّغةِ، وعربيتُهِ قويَّة جدًّا، ومعرِفَتُه بالتَّاريخِ والسِّيَرِ فعجَبٌ عجيبٌ.

وأمَّا شجاعَتُه وجِهادُه وإقدامُه فأمرٌ يتجاوَزُ الوصفَ ويفوقُ النَّعْتَ.

وهو أحدُ الأجوادِ الأسخياءِ الَّذينَ يُضرَبُ بهم المثلُ، وفيه زهدٌ وقناعةٌ باليسيرِ في المأكلِ والمشربِ، انتهى[1].

وقالَ الذَّهبيُّ أيضًا في ترجمةِ ابنِ تيميةَ: وله باعٌ طويلٌ في معرفةِ مذاهبِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وقلَّ أنْ يتكلَّمَ في مسألةٍ إلَّا ويذكُرُ فيها مذاهبَ الأربعةِ، وقد خالفَ الأربعةَ في مسائلَ معروفةٍ، وصنَّفَ فيها واحتجَّ لها بالكتابِ والسُّنَّةِ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٩)، و«الرد الوافر» (ص٣٣)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٨٥).

ولَمَّا كانَ مُعتقلًا بالإسكندريَّةِ[١] التمسَ منهُ صاحِبُ سَبْتَةَ[٢] أن يجيزَ له مرويَّاتِهِ، وينصَّ على أسماءِ جملةٍ منها، فكتبَ في عشرِ ورَقاتٍ جملةً مِنْ ذلكَ بأسانيدِها مِنْ حِفْظِهِ، بحيثُ يعجزُ أنْ يعمَلَ بعضَهُ أكبرُ محدِّثٍ يكونُ[٣].

وله خِبرةٌ تامَّةٌ بالرجالِ وجرحِهم وتعديلِهم وطبقاتِهم، ومعرفَةٌ بفنونِ الحديثِ، وبالعالي والنَّازلِ، وبالصَّحيحِ والسَّقيمِ، معَ حفظِهِ لمتونِه، فلا يبلُغُ أحدٌ في العصرِ رُتبتَهُ ولا يُقارِبُه، وهو عجبٌ في استحضارِ واستخراجِ الحُججِ منهُ، وإليهِ المنتَهى في عزوِه إلى الكتبِ السِّتَّةِ والمسنَدِ، بحيثُ يصدُقُ عليهِ أن يُقالَ: كلُّ حديثٍ لا يعرفُه ابنُ تيميةَ فليسَ بحديثٍ، ولكن الإحاطةَ للهِ، غيرَ أنه يغترِفُ مِن بحرٍ، وغيرُه مِن الأئمَّةِ يغترِفُونَ مِن السَّواقي.

ولـه الآنَ عـدَّةُ سـنينَ لا يُفتـي بمذهبِ معيـنٍ، بل بما قـامَ الدَّليلُ عليـهِ عندَه، ولقـد نصـرَ السُّـنَّةَ المحضـةَ، والطَّريقـةَ السـلفيَّةَ، واحتـجَّ لهـا ببراهيـنَ ومُقدِّماتٍ

---

(١) ابتدأ سجن شيخ الإسلام بالإسكندرية سنة (٧٠٩هـ) شهر صفر، وأقام فيه ثمانية أشهر. انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٥٦).

(٢) سبتة: بفتح السين وقيل: بكسرها، بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس، والبحر يحيط بسبتة من جميع جهاتها إلا من جهة الغرب. وحاليًا تقع سبتة أقصى شمال المغرب العربي مقابل جبل طارق، وهي مدينة مغربية تحتلها إسبانيا، وهي ذاتية الحكم. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/ ١٨٢)، و«أطلس التاريخ الإسلامي» لشوقي أبو خليل (ص٨٥)، و«مدن وشعوب إسلامية» لحسان حلاق (ص١٤٢).
وغالب الظن أن صاحب سبتة في ذلك الوقت: يحيى بن أبي طالب، الذي عقد له على سبتة سلطان بني مرين أبو الربيع بعد أن سيطر عليها قائد جيوشه تاشفين بن يعقوب الوطاسي من بني الأحمر، سنة (٧٠٩هـ). انظر: «تاريخ ابن خلدون» (٧/ ٣١٧، ٣٢٦).

(٣) انظر: «العقود الدرية» (ص١٣٢ ـ ١٣٣)، و«الرد الوافر» (ص٣٤)، و«الدرر الكامنة» (١/ ١٨٥).

وأمورٍ لم يسبَقْ إليها، وأطلَقَ عباراتٍ أحجَمَ عنها الأوَّلُونَ والآخِرُونَ، وهابوا وجسَرَ عليها، حتَّى قامَ عليه خلقٌ مِن علماءِ مصرَ والشَّامِ قيامًا لا مزيدَ عليهِ، وبدَّعُوهُ وناظرُوهُ وكاتبُوه[1]، وهو ثابتٌ لا يُداهِنُ ولا يحابي، بل يقولُ الحقَّ المرَّ الَّذي أداهُ إليه اجتهادُهُ، وحِدَّةُ ذهنِهِ، وسَعةِ دائرَتِه في السُّننِ والأقوالِ، معَ ما اشتُهِرَ منه مِن الورَعِ، وكمالِ الفكرِ، وسَعةِ الإدراكِ، والخوفِ مِن اللهِ العظيمِ، والتَّعظيمِ لحرماتِ اللهِ.

فجرى بينَهُ وبينَهم حملاتٌ حربيَّةٌ، ووقعاتٌ شاميَّةٌ ومصريَّةٌ، وكم من نوبةٍ قد رمَوه عن قوسٍ واحدٍ فينجِّيهِ اللهُ تعالى، فإنَّه دائمُ الابتهالِ، كثيرُ الاستغاثةِ، قويُّ التَّوكُّلِ، ثابتُ الجأشِ، له أورادٌ وأذكارٌ يدمِنُها بكيفيَّةٍ وجمعيَّةٍ.

ولـه مِن الطَّرفِ الآخرِ محبُّونَ مِن العلماءِ والصُّلحاءِ، ومِن الجندِ والأمراءِ، ومِن التجَّارِ والكُبَراءِ، وسائرُ العامَّةِ تحبُّه لأنَّهُ مُنتَصِبٌ لنفعهم ليلًا ونهارًا بلسانِه وقلمِه.

وأمَّا شجاعتُه فبها تُضْرَبُ الأمثالُ، وببعضِها يتشبَّهُ أكابرُ الأبطالِ، فلقَد أقامَهُ اللهُ في نوبةِ غازانَ[2]، والتقى أعباءَ الأمرِ بنفسِهِ، وقامَ وقعَدَ، وطلعَ

---

(١) كذا في الأصل وفي «الرد الوافر»: «وكاتبوه»، وفي «الدرة اليتيمية»، و«العقود الدرية»، و«تاريخ ابن الوردي»، و«ذيل طبقات الحنابلة»: «وكابروه».

(٢) غازان: أو قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيزخان، واسمه بالعربي محمود، أحد ملوك التتار، غزا بلاد الشام، وأسلم سنة (٦٩٤هـ)، وهزم في وقعة شقحب قرب دمشق، ومات على إثرها سنة (٧٠٣هـ). انظر: «العبر» (٤/ ٨)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ٦٩٠)، و«فوات الوفيات» لابن شاكر (٤/ ٩٧)، و«أعيان العصر» للصفدي (٤/ ٨ ـ ١٣).

وخرجَ، واجتمعَ بالملكِ مرَّتينِ، وبخطلوشاه[١]، وببولايَ[٢]، وكانَ قَبْجَقُ[٣] يتعجَّبُ من إقدامِهِ وجُرأتِه على المغولِ.

وله حِدَّةٌ قويةٌ تعتريهِ في البحثِ حتَّى كأنَّه ليثُ حربٍ، وهو أكبرُ مِنْ أن ينبِّهَ مثلي على نعوتِه، فلو حلفتُ بينَ الرُّكنِ والمقامِ لحلَفتُ أنِّي ما رأيْتُ بعينيَّ مثلَهُ، ولا رأى هو مثلَ نفسِه في العلمِ[٤].

وقالَ الذَّهبيُّ أيضًا: وكانَ ـ يعني ابنَ تيميةَ ـ آيةً من الذكاءِ وسرعةِ الإدراكِ، رأسًا في معرفةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والاختلافِ، بحرًا في النَّقليَّاتِ، هو في زمانِه فريدُ عصرِهِ علمًا وزهدًا وشجاعةً وسخاءً، وأمرًا بالمعروفِ ونهيًا عن المنكرِ، وكثرةَ تصانيفَ.

وقرأ وحصَّلَ وبَرَعَ في الحديثِ والفقهِ، وتأهَّلَ للتَّدريسِ والفتوى وهو ابنُ سبعَ

---

(١) خطلوشاه: أو قطلوشاه، نائب قازان، كان كافرًا داهية، فعل بدمشق الأفاعيل، ثم كان مقدمهم في وقعة شقحب فعاد مكسورًا، ثم جهزه غازان إلى كيلان ففتكوا به وقتلوه سنة (٧٠٧هـ). انظر: «أعيان العصر» للصفدي (٢/ ٣٢١)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٢/ ٢٠٥).

(٢) بولاي النوين: من أمراء التتار، الذين قدموا مع غازان، خرج إليه ابن تيمية واستوهبه بعض الأسرى فأطلقهم. انظر: «أعيان العصر» للصفدي (٢/ ٧١)، و«تاريخ ابن خلدون» (٥/ ٤٧٤).

(٣) قبجق: الأمير الكبير سيف الدين نائب دمشق وحماة وحلب، كان بطلاً شجاعًا عارفًا جيد الرأي قليل الطمع والظلم، توفي بحلب وهو نائبها سنة (٧١٠هـ)، ونقل إلى حماة ودفن في تربتة المشهورة بها. انظر: «أعيان العصر» للصفدي (٤/ ٦١ ـ ٦٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤).

(٤) انظر: «الدرة اليتيمية في السيرة التيمية» للذهبي (ص٤٢ ـ ٤٤). وانظر: «العقود الدرية» (ص١٣٢ ـ ١٣٣)، و«تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٨)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٠٦)، و«الرد الوافر» (ص٣٤).

عشرةَ، وتقدَّمَ في علمِ التَّفسيرِ والأصولِ، وجميعِ علومِ الإسلامِ أصولِها وفروعِها، ودِقِّها وجُلِّها، فإنْ ذُكِرَ التَّفسيرُ فهو حامِلُ لوائِهِ، وإنْ عدَّ الفقهاءُ فهو مجتهِدُهم المطلَقُ، وإنْ حضرَ الحفَّاظُ نطَقَ وخرسُوا، وسرَدَ وأبلَسُوا، واستَغنى وأفلَسُوا، وإنْ سُمِّيَ المتكلِّمونَ فهو فردُهم وإليهِ مرجِعُهم، وإنْ لاحَ ابن سينا يقدُمُ الفلاسِفةَ فلَّسهَم وهتكَ أستارَهم وكشَفَ عُوارَهم.

وله يدٌ طولى في معرفةِ العربيَّةِ والصَّرفِ واللُّغةِ، وهو أعظَمُ مِنْ أن تصِفَه كَلِمِي، وينبِّهَ على شأوِهِ قلمِي، فإنَّ سيرَتَهُ وعلومَهُ ومعارِفَه ومحَنه وتنقُّلاتِه يُحتمَلُ أن توضَعَ في مجلَّدين.

فاللهُ تعالى يغفِرُ له ويسكِنُه أعلَى جنَّتِهِ، فإنَّه كانَ ربانيَّ الأمَّةِ، وفريدَ الزَّمانِ، وحامِلَ لواءِ الشَّريعةِ، وصاحبَ مُعضلاتِ المسلمينَ، رأسًا في العلمِ، يُبالغُ في أمرِ قيامِه بالحقِّ والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ مُبالغةً ما رأيتُها ولا شاهدتُها مِن أحدٍ، ولا لحِظتُها مِن فقيهٍ[1].

وقالَ الذَّهبيُّ أيضًا: جُمِعَتْ مصنَّفاتُ شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ فوُجِدَتْ ألفَ مُصنَّفٍ، ثم رأيْتُ له أيضًا مُصنَّفاتٍ أُخَرَ[2].

وتراجمُ الذَّهبيِّ لابنِ تيميةَ أشهرُ مِن أنْ تُذكرَ، وأكثرُ مِنْ تحصَرَ رحمه اللهُ تعالى.

ورثاهُ الذَّهبيُّ بعدَ موتِه بقولِه:

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٩ـ ٤٠).

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص٣٥).

يا مَوتُ خُذ مَنْ أردْتَ أو فدَعِ ... محوْتَ رسمَ العلُومِ والورَعِ

أخذْتَ شيخَ الإسلامِ وانفصَمَتْ ... عُرَى التُّقَى واشتفَى أُلوا البِدَعِ

غَيَّبْتَ بحرًا مُفسِّرًا جبَلًا ... حَبرًا تَقيًّا مجانِبَ الشِّبَعِ

فإنْ تحدَّث فمُسلمٌ ثقةٌ ... وإنْ يُناظِرْ فصاحِبُ اللُّمَعِ

وإن يخُضْ نحوَ سيبويهِ يَفُهْ ... بكُلِّ مَعنى مِنَ الفَنِّ مختَرَعِ

وصارَ عاليَ الإسنَادِ حافِظَهُ ... كشُعبةَ أو سَعيدٍ الضُّبَعِي

والفِقهُ فيهِ فكانَ مجتَهِدًا ... وذا جِهادٍ عارٍ مِنَ الجَزَعِ

وجودُه الحاتِميُّ مُشتَهرٌ ... وزهدُهُ القادرِيُّ في الطَّمَعِ

أسكنَهُ اللهُ في الجِنانِ ولا ... زالَ عَلِيًّا في أجمَلِ الخُلَعِ

معَ مالكٍ والإمامِ أحمدَ والنُّـ ... ـعمانَ والشَّافِعيِّ والخُلَعِي[1]

مضَى ابنُ تيميةٍ وموعِدُهُ ... معَ خَصمِهِ يومَ نَفخَةِ الفزَعِ[2]

***

(١) كذا في الأصل، وفي «العقود الدرية»: «والنخعي».

(٢) انظر: «العقود الدرية» (ص٤٤٩ ـ ٥٠٠)، و«الرد الوافر» (ص٣٥ ـ ٣٦).

(٨)

## ومنهم الحافظُ المِزِّيُّ

وهو الشَّيخُ الإمامُ، حافظُ الإسلامِ، محدِّثُ الأعلامِ، الحبرُ النَّبيلُ، أستاذُ أئمَّةِ الجرحِ والتَّعديلِ، شيخُ المحدِّثينَ، جمالُ الدِّينِ، أبو الحَجَّاجِ، يوسفُ القُضاعيُّ، ثم الكلبيُّ الحلبيُّ الدِّمشقيُّ، ثم المزِّيُّ الشَّافعيُّ.

ولدَ بظاهِرِ حلبَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ، ونشأَ بالـمِزَّةِ[١].

وسمِعَ الكثيرَ مِنَ الكتبِ الطِّوالِ والقصارِ، والأجزاءِ الكبارِ وغيرِ الكبارِ، ورحَلَ إلى عدَّةٍ مِن الأمصارِ.

وصنَّفَ «كتابَ التَّهذيبِ»[٢]، و«كتابَ الأطرافِ»[٣]، وخرَّجَ لغيرِ واحدٍ التَّخاريجَ المطوَّلةَ واللِّطافَ.

وكانَ غزيرَ العِلمِ ثقةً حجَّةً، حسَنَ الأخلاقِ، صادقَ اللَّهجَةِ.

---

(١) المزة: قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٥/ ١٢٢). وهي اليوم منطقة كبيرة في الجهة الغربية الجنوبية لدمشق تحوي عدَّة أحياء.

(٢) وهو «كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، ترجم فيه لرجال الكتب الستة ولواحقها، وهو تهذيب وإكمال لكتاب «الكمال» لعبد الغني المقدسي الذي جمع رجال الكتب الستة إلا أنه أهمل كثيرًا من الرجال فلم يذكرهم، وزاد عليه بحيث غدا «التهذيب» ثلاثة أضعاف «الكمال». وللمزيد انظر: مقدمة التحقيق لـ«تهذيب الكمال» لبشار عواد معروف (١/ ٣٧ـ ٥١).

(٣) واسمه: «تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف» جمع أحاديث الكتب الستة ولواحقها (وهي: مقدمة صحيح مسلم، والمراسيل لأبي داود، والعلل، والشمائل كلاهما للترمذي، وعمل اليوم والليلة للنسائي) بطريقة تسهل على المرء معرفة طرق الحديث الواحد وأسانيده، لذا جعله مرتبًا على الأسانيد.

ترافَقَ هـو وابنُ تيميةَ شـيخُ الإسـلامِ فـي السَّـماعِ والنَّظرِ فـي علومٍ مـع عدَّةٍ مـن الأعلامِ.

ماتَ في عامِ اثنينِ وأربعين وسبعِ مئةٍ بدمشقَ، ودفِنَ بجوارِ ابنِ تيميةَ، وكانت جنازَتهُ مشهودةً[١].

وهو الذي قالَ فيهِ بعضُ العلماءِ الأفاضلُ[٢]:

مـا زلْـتُ أسـمَعُ عـن إحسـانِكُم خبَرًا الـفَـضــلُ يُـسـنِـدُه عنكُـم ويرفَعُهُ

حتَّـى التقَينـا فشـاهَدْتُ الَّذي سمِعَتْ أُذُنــي وأضــعَاف ما قدْ كنْتُ أسـمَعُهُ

حـدَّثَ غيـرُ واحدٍ مِنَ الشُّـيوخِ عن الـمِزِّيِّ أنَّـهُ قالَ عن ابـنِ تيميةَ: مـا رأيْتُ مثلَـهُ، ولا رأى هـو مثلَ نفسِـهِ، وما رأيـتُ أحدًا أعلَمَ بكتابِ اللهِ وسـنَّةِ رسـولِ اللهِ، ولا أتبَعَ لهمـا منهُ[٣].

وقالَ الـمِزِّيُّ أيضًا عن ابنِ تيميةِ: ابنُ تيميةَ لم يُرَ مثلُهُ منذُ أربع مئةِ سنةٍ[٤].

وكتبَ الـمِزِّيُّ على «كتابِ ترجمةِ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ» تصنيفِ ابنِ عبدِ الهادي[٥] ما صورَتهُ: كتابٌ مختصَرٌ في ذكرِ حالِ الشَّيخِ الإمامِ، شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ عبدِ الحليمِ ابن تيميةَ، وذكرَ بعضَ مُصنَّفاتِهِ ومناقبِه،

---

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٨)، وانظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٥٥٦).

(٢) قائلها أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي الشافعي، لما قدم الحج سنة (٧٣٤هـ). انظر: «الراد الوافر» (ص١٢٨).

(٣) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٣)، و«شذرات الذهب» (٨/ ١٤٧).

(٤) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٠٣)، و«الرد الوافر» (ص١٢٩).

(٥) وهو «كتاب العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية».

جمعُ الشَّيخِ الإمامِ الحافظِ شمس الدِّينِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بن أحمدَ بن عبدِ الهادي المقدسيِّ[١].

وكتبَ المِزِّيُّ أيضًا بخطِّهِ طبقةَ سماعٍ على الجزءِ الثَّاني من «حديثِ الحسنِ ابن عليٍّ الجوهريِّ» ما صورَتُهُ: سمِعَ هذا الجزءَ عليَّ المشايخُ الثَّلاثةُ: الإمامُ العلَّامةُ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ ابنُ تيميةَ، والإمامُ علمُ الدِّينِ البرزاليُّ بقراءتِه مِن لفظِهِ، وكاتبُ السَّماعِ يوسفُ ابنُ الزَّكيِّ[٢].

وقد قالَ قاضي القضاةِ صالحُ بن عمرَ البُلقينيُّ الشَّافعيُّ[٣]: لقدِ افتخرَ قاضي القضاةِ تاجُ الدِّينِ السُّبكيُّ في ترجمةِ أبيهِ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ السُّبكيِّ في ثناءِ الأئمَّةِ عليهِ بأنَّ الحافظَ المزيَّ لم يكتُب بخطِّهِ لفظَةَ شيخِ الإسلامِ إلَّا لأبيهِ، وللشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ، وللشَّيخِ شمسِ الدِّينِ ابن أبي عمرَ الحنبَليِّ[٤].

***

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٩).

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٩).

(٣) ستأتي ترجمته وقوله في تقريظه على «كتاب الرد الوافر».

(٤) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠/ ١٩٥).

(٩)

## ومنهم الحافظُ البرزاليُّ[١]

وهو الشيخُ الإمامُ الحافظُ الثِّقةُ الحُجَّةُ، مؤرِّخُ الشَّامِ، وأحدُ محدِّثي الإسلامِ، مفيدُ المحدِّثينَ، علَمُ الدِّينِ أبو محمَّدٍ القاسمُ بن محمَّدِ بن يوسفَ البرزاليُّ الإشبيليُّ الأصلِ، الدِّمشقِيُّ، صاحبُ «التَّاريخِ الخطيرِ»[٢]، و«المعجمِ الكبيرِ»[٣].

كانَ بأسماءِ الرِّجالِ بصيرًا، وناقلًا لأحوالِهم نحريرًا، ولِدَ سنةَ خمسٍ وستينَ وست مئةٍ بدمشقَ، وماتَ بخُلَيصٍ[٤] مُحرِمًا في ثالثِ ذي الحجَّةِ، سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وسبع مئةٍ.

ولقد حكَى بعضُ مشايخِنا عنه أنه كانَ إذا قرأ الحديثَ، ومرَّ به حديثُ ابنِ عباسٍ في قصَّةِ الرَّجلِ الَّذي كانَ معَ النَّبيِّ ﷺ، فوقصَتْهُ ناقتُهُ وهو محرِمٌ فماتَ... الحديثَ؛ وفيهِ: «فإنَّه يُبعَثُ يومَ القيامةِ مُلبيًا»[٥]، فكانَ إذا قرأه البرزاليُّ يبكِي ويرِقُّ قلبُه، فماتَ بخُليصٍ محرِمًا.

---

(١) الحافظ المحدث المتقن الإمام مؤرخ الشام، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن الحافظ زكي الدين محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي، سمع كثيرًا ورحل وأمعن في طلب الحديث مع الإتقان والفضيلة، توفي محرمًا سنة (٧٣٩هـ). انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٧٧)، و«أعيان العصر» للصفدي (٤/ ٤٩).

(٢) «تاريخ البرزالي»: جمع فيه: وفيات المحدثين، بل هو يختص بمن له سماع، لكنه لم يبيض. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٨٧).

(٣) جمع فيه أسماء مشايخه، وبلغ عدد مشايخه بالسماع ألفي شيخ وبالإجازة أكثر من ألف. انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢٧٧).

(٤) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٣٨٦).

(٥) رواه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).

وفيهِ يقولُ الذَّهبيُّ:

إنْ رُمـتَ تفتيـشَ الخزائـنِ كلِّها    وظهُـورِ أجـزاءٍ حـوَتْ وعَوالـي

ونُعـوتِ أشـياخِ الوُجُـودِ ومـا رَوَوا    طـالِعْ أو اسـمَعْ مُعجَـمَ البرزالـي (١)

وفيهِ يقولُ الشَّيخُ الإمامُ ابنُ الموصليِّ الطَّرابلسيُّ:

مـا زلْـتُ أسـمَعُ عنـكَ كلَّ عارفةٍ    لمثـلِـها أو إلَيهـا ينتهِـي الكـرَمُ

وكنْتُ بالسَّـمعِ أهواكُـم فكَيـفَ وقَد    رأيتُكُـم وبـدا لـي في الهوَى عَلَـمُ (٢)

كتـبَ البرزالـيُّ بخطِّـه سـماعَ طبقـةٍ على جـزءٍ فيـهِ «أحاديـثُ مُنتقاةٌ مـن جزءِ الحسـنِ بـنِ عرفـةَ» وهـيَ: قـرأ هـذه الأحاديـثَ الثَّمانيـةَ شـيخُنا وسـيِّدُنا الإمـامُ العالـمُ العلامـةُ الأوحَـدُ القُـدوةُ الزَّاهـدُ العابـدُ الـورِعُ الحافـظُ، تقـيُّ الدِّينِ، شـيخُ الإسـلامِ والمسـلمينَ، سـيِّدُ العلماءِ في العالمِينَ، حبـرُ الأمَّةِ، مُقتـدي الأئمَّةِ، حجَّةُ المذاهـبِ، مُفتـي الفِـرقِ، أبـو العبَّـاسِ، أحمـدُ بنُ عبـدِ الحليمِ بـنِ عبدِ السَّـلامِ ابنُ تيميـةَ، أدامَ اللهُ بركتَـهُ ورفَـعَ درجَتـهُ(٣).

وقـد ذكـرَ البرزاليُّ فـي «معجَمِ شـيوخِهِ» الشَّـيخَ تقيَّ الدِّيـنِ فقـالَ: أحمدُ بنُ عبـدِ الحليـمِ بـنُ عبـدِ السَّـلامِ بـن عبـدِ اللهِ بـن أبي القاسـمِ بـنِ محمَّـدِ ابـنِ تيميةَ الحرَّانـيُّ، الشَّـيخُ تقـيُّ الدِّيـنِ، أبـو العبَّـاسِ، الإمـامُ المجمَـعُ علـى فضلِـهِ ونُبلِـهِ ودينِـهِ، قـرأَ القـرآنَ وبـرَعَ فيـهِ، والعربيَّـةَ والأصـولَ، ومهـرَ فـي عِلمَـي التَّفسـيرِ

---

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٠)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٧٧)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص٥٢٧).

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٠)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٧٧).

(٣) انظر: «الرد الوافر» (ص١٢٠).

والحديثِ، وكانَ إمامًا لا يُلحَقُ غُبارُهُ في كلِّ شيءٍ، وبلغَ رتبةَ الاجتهادِ، واجتمعَتْ فيهِ شروطُ المجتهدينَ، وكانَ إذا ذكَرَ التَّفسيرَ أبهتَ النَّاسَ مِن كثرةِ محفوظِهِ، وحُسْنِ إيرادِهِ، وإعطائِهِ كلَّ قولٍ ما يستحقُّهُ مِن التَّرجيحِ والتَّضعيفِ والإبطالِ، وخوضِهِ في كلِّ علمٍ، كانَ الحاضرونَ يقضُونَ منه العجَبَ، هذا معَ انقطاعِه إلى الزُّهدِ والعبادةِ، والاشتغالِ باللهِ تعالى، والتَّجرُّد مِن أسبابِ الدُّنيا، ودعاءِ الخلقِ إلى اللهِ تعالى.

وكانَ يجلِسُ في صبيحةِ كلِّ جمعةٍ يقرَأُ على النَّاسِ تفسيرَ القرآنِ العظيمِ، فانتفَعَ بمجلسِهِ، وبركةِ دُعائِهِ، وطهارَةِ أنفاسِهِ، وصدقِ نيَّته، وصفاءِ ظاهرِه وباطنِهِ، وموافقَةِ قولِه لعمَلِه، وأنابَ إلى اللهِ تعالى خلقٌ كثيرٌ، وجرَى على طريقةٍ واحدةٍ مِن اختيارِ الفقرِ، والتقلُّلِ من الدُّنيا، وردِّ ما يُفتَحُ بِهِ عليهِ[1].

وقالَ البرزاليُّ في «تاريخِه» بعد أن ذكرَ وفاةَ ابنِ تيميةَ، ووصفَ دفنَهِ، وشدَّةَ الزِّحامِ عليهِ، ثم قالَ: وخلقٌ كثيرٌ سمِعَ منهم الحديثَ، وقرأَ بنفسِهِ الكثيرَ، وطلَبَ الحديثَ، وكتبَ الطِّباقَ والإثباتَ، ولازمَ السَّماعَ بنفسِهِ مدةَ سنينَ، وقلَّ أن يسمَعَ شيئًا إلَّا حفِظَه، ثم اشتغَلَ بالعلومِ، وكان ذكيًّا كثيرَ المحفوظِ، فصارَ إمامًا في التَّفسيرِ وما يتعلَّقُ بِهِ عارِفًا بالفقهِ، فيقالُ: إنَّه كانَ أعرَفَ بفقهِ المذاهبِ مِن أهلِها الَّذينَ كانوا في زمانِه وغيرِه.

وكانَ عالمًا باختلافِ العلماءِ، عالمًا بالأصولِ والفروعِ والنَّحوِ واللُّغةِ وغيرِ ذلكَ من العلومِ النَّقليَّةِ والعقليَّةِ، وما قُطِعَ في مجلسِ مُناظرةٍ، ولا تكلَّمَ معه فاضلٌ في فنٍّ مِن فنونِ العلمِ إلَّا ظنَّ أن ذلكَ الفنَّ فنُّهُ، ورآه عارِفًا به مُتقنًا لهُ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٨)، و«الرد الوافر» (ص١٢١).

وأمَّـا الحديـثُ فـكانَ حامِلَ رايتِـه، حافظًا لـه، مميِّزًا بيـنَ صحيحِهِ وسـقيمِهِ، عارفًـا برجالِـه متضلِّعًـا مِن ذلكَ، ولـه تصانيفُ كثيـرةٌ، وتعاليقُ مفيـدةٌ في الأصولِ والفروعِ.

وأثنـى عليهِ وعلـى فضائلِهِ وعلومِـه جماعةٌ مِن علمـاءِ عصرِه، مثـلُ ابنِ دقيقِ العيـدِ، وابـنُ النَّحـاسِ، والقاضي الحنفـي قاضي قضاةِ مصـرَ ابنُ الحريـرِيِّ، وابنُ الزَّملكانيِّ وغيرُهم[1].

***

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٥٧)، و«الرد الوافر» (ص١٢٢).

(١٠)

## ومنهم الحافظُ ابنُ رجبٍ

وهوَ الشَّيخُ الإمامِ العلَّامةُ، الزَّاهدُ القُدوةُ البركَةُ، الحافظُ العمدةُ، الثِّقةُ الحُجَّةُ، واعظُ المسلمينَ، مُفيدُ المحدِّثينَ، زينُ الدِّينِ، أبو الفرجِ، عبدُ الرَّحمنِ بن الشَّيخِ الإمامِ المقرئ المحدِّثِ أحمدَ بن رجبٍ البغداديُّ الدِّمشقيُّ الحنبليُّ، أحدُ الأئمَّةِ الزُّهَّادِ، والعلماءِ العُبَّادِ، توفِّيَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وسبع مئةٍ بدمشقَ.

وقد حدَّثَ مَنْ حفرَ لحدَ ابنَ رجبٍ: أنَّ الشَّيخَ ابنَ رجبٍ جاءَ قبلَ أن يموتَ بأيَّامٍ قالَ: فقالَ لي: احفِر لي هنا لحدًا، وأشارَ إلى البُقعةِ الَّتي دفن فيها، قالَ: فحفرْتُ لهُ، فلمَّا فرَغَ نزلَ في القبرِ واضطجَعَ فيه فأعجبَهُ، وقالَ: هذا جيِّدٌ، ثم خرَجَ، قالَ: فواللهِ ما شعرْتُ بعدَ أيَّامٍ إلَّا وقد أوتي به ميتًا محمولًا في نعشِهِ، فوضعتُه في ذلكَ اللَّحدِ وواريتُه فيهِ[1].

له مصنَّفاتٌ مفيدةٌ ومؤلَّفاتٌ عديدةٌ منها: «شرحُ جامعِ التِّرمذِيِّ» وشرحَ مِن أوَّلِ «صحيحِ البخاريِّ» إلى الجنائزِ شرحًا نفيسًا[2]، وله كتابُ: «طبقاتِ أصحابِ مذهَبِه»[3] جعلَهُ ذيلًا على مَنْ بدأَ بهِ، وهو القاضي أبو يعلَى ابنُ الفرَّاءِ.

---

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص١٠٧)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ١٠٩).

(٢) وسمَّاه: «فتح الباري»، وهو مطبوع لكن حتى حديث (١٢٣٦) من كتاب السهو، فلعل جزءًا منه قد فقد.

قال ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص٥٠): وشرح قطعة من البخاري إلى كتاب الجنائز وهي من عجائب الدهر، ولو كمل كان من العجائب.

(٣) مطبوع باسم: «ذيل طبقات الحنابلة»، وله من المصنفات المفيدة الكثير منها: «جامع العلوم والحكم» شرح الأربعين النووية وزيادتها، و«شرح علل الترمذي»، و«لطائف المعارف فيما =

قـالَ فيـهِ: أحمـدُ بنُ عبـدِ الحليمِ بـنِ عبدِ السَّـلامِ بنِ عبـد اللهِ بن أبي القاسـمِ الخَضِـرِ بـن محمَّـدِ، ابنِ تيميـةَ، الحرَّانـيُّ، ثم الدِّمشـقِيُّ، الإمـامُ الفقيـهُ المجتهدُ، المحـدِّثُ الحافـظُ، المفسِّـرُ الأصولـيُّ الزَّاهـدُ، تقـيُّ الدِّيـنِ، أبـو العبَّـاسِ، شـيخُ الإسـلامِ، وعلَـمُ الأعـلامِ، وشـهرَتُه تُغني عـن الإطنابِ فـي ذكرِه، والإسـهابِ في أمرِه[1].

ثم ذكرَ ابنُ رجبٍ ترجمةَ ابنِ تيميةَ، وفيها ذكرُ موتِه ودفنِه، ثم قالَ: وصُلِّيَ عليهِ صلاةَ الغائبةِ في غالبِ بلادِ الإسلامِ القريبةِ والبعيدةِ، حتَّى في بلادِ اليمنِ والصِّينِ، وأخبرَ المسافرونَ أنَّه نُودِي بأقصى الصِّينِ للصَّلاةِ عليهِ يومَ الجمعةِ: الصَّلاةَ على ترجمانِ القرآنِ[2].

***

= لمواسم العام من وظائف»، وغيرها.

(١) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٥٢٨).

(١١)

## ومنهم الحافظُ ابنُ عبدِ الهادي[١]

وهوَ الشَّيخُ الإمامُ العلَّامةُ، الحافظُ النَّاقدُ، ذو الفنونِ، عُمدَةُ المحدِّثينَ، مُتقنُ المحرِّرينَ، شمسُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الهادي بنِ عبدِ الحميدِ بن عبدِ الهادي بنِ قُدامةَ بنِ مقدامِ بنِ نصرٍ المقدسيُّ الصَّالحيُّ الحنبلِيُّ.

ولدَ سنةَ أربعٍ أو خمسٍ وست مئةٍ، وقرأَ القرآنَ بالرواياتِ، وسمِعَ ما لا يحصَى من المروياتِ، وعُنيَ بالحديثِ وأنواعِهِ ومعرفةِ رجالِهِ وعلَلِه، وتفقَّهَ وأفتى ودرَّسَ، وجمَعَ وألَّفَ، وكتبَ الكثيرَ، وصنَّفَ وتصدَّى للإفادةِ.

ومن مصنَّفاتِه: «تنقيحُ التَّحقيقِ في أحاديثِ التَّعليقِ» مجلَّدانِ[٢]، و«المحرَّرُ في الأحكامِ»[٣]، و«الكلامُ على أحاديثِ مختصَرِ ابنِ الحاجبِ» مؤلَّفانِ مطوَّلٌ

---

(١) توفي سنة (٧٤٤هـ). انظر: «المعجم المختص بالمحدثين» للذهبي (ص٢١٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥/ ٦١).

(٢) هو كتاب اعتنى فيه مصنفه بكتاب ابن الجوزي: «التحقيق»، فخرج أحاديثه وذكر من صحح الحديث أو ضعفه، وذكر علة الحديث إن كان له علة، وعلق عليه. وكتاب «التحقيق» لابن الجوزي كتاب عني بذكر أدلة مذهب الإمام أحمد وأدلة مخالفيهم. انظر: مقدمة كتاب «تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق».

(٣) مطبوع باسم: «المحرر في الأحاديث»، قال ابن عبد الهادي في مقدمته: «هذا مختصر يشتمل على جملة من الأحاديث النبوية في الأحكام الشرعية، انتخبته من كتب الأئمة المشهورين والحفاظ المعتمدين... وذكرت بعض من صحح الحديث أو ضعفه، والكلام على بعض رواته من جرح أو تعديل، واجتهدت في اختصاره وتحرير ألفاظه، ورتبته على ترتيب بعض فقهاء زماننا ليسهل الكشف منه».

ومختصرٌ، و«جزءٌ في الرَّدِّ على أبي حيَّان فيما أوردَهُ على ابنِ مالكٍ»، وجمعَ «التَّفسيرَ المُسْندَ» لكنَّهُ ماتَ قبلَ إتمامِهِ[١].

وكانَ إمامًا في علومٍ كالتَّفسيرِ والحديثِ والأصولِ والفقهِ واللُّغَةِ والعربيَّةِ.

وذكرَهُ الحافظُ الذهبيُّ في «معجَمِه المختصِّ بالمحدِّثينَ» وفي «طبقاتِ الحفَّاظِ» وأثنى عليه فيهما ثناءً حميدًا[٢]، وقالَ: واللهِ ما اجتمعْتُ بهِ قطُّ إلَّا واستفدْتُ منهُ[٣].

ماتَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وسبع مئةٍ بدمشقَ، وكانَت جنازَتهُ حافلةً.

ومن مصنَّفاتِه: «كتابُ مناقبِ ابنِ تيميةَ» في مجلدٍ[٤].

قالَ فيهِ: هو الشَّيخُ الإمامُ، العالمُ العاملُ الرَّبانيُّ، إمامُ الأئمَّةِ، وعلَّامةُ الأمَّةِ، ومفتي الفِرَقِ، وبحرُ العلومِ، سيِّدُ الحفَّاظِ، وفارسُ المعاني والألفاظِ، فريدُ العصرِ، ووحيدُ الدَّهرِ، شيخُ الإسلامِ، بركةُ الأنامِ، علَّامةُ الزَّمانِ وترجمانُ القرآنِ، وعلمُ الزَّمانِ، وأوحدُ العُبَّادِ، قامِعُ المبتدعِينَ، وآخرُ المجتهدِينَ، تقيُّ الدِّين، أبو العبَّاسِ، أحمدُ ابنُ الشَّيخِ الإمامِ العلَّامةِ شهابِ الدِّينِ أبي المحاسنِ عبدِ الحليمِ ابنِ الشَّيخِ الإمامِ العلَّامةِ شيخِ الإسلامِ مجدِ الدِّينِ أبي البركاتِ عبدِ السَّلامِ ابنِ تيميةَ الحرَّانيُّ.

---

(١) ويعد ابن عبد الهادي من المكثرين في التأليف على الرغم من وفاته شابًّا لم يكمل الأربعين من عمره، وله كتب أخرى مشهورة منها: «الصارم المنكي في الرد على السبكي»، و«تعليقة على العلل لابن أبي حاتم»، و«طبقات علماء الحديث».

(٢) انظر: «المعجم المختص» (ص٢١٥)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٠١).

(٣) انظر: «ذيل طبقات الحفاظ» للحسيني (ص٣٢)، و«الرد الوافر» (ص٣٠)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ٦٢).

(٤) مطبوع باسم: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية».

نزيلُ دمشقَ، وصاحبُ التَّصانيفِ الَّتي لم يُسبَق إلى مثلِها، ولا يلحَقُ في شكلِها توحيدًا أو تفسيرًا، وإخلاصًا، وفقهًا وحديثًا ولغةً ونحوًا وجميعَ العلومِ، كتبُهُ طافحةٌ بذلك[1].

وانتهَت إليهِ الإمامةُ في العلمِ والعملِ، والزُّهدِ والورعِ، والشَّجاعةِ والكرمِ، والتَّواضُعِ والحلمِ والإنابةِ، والجلالةِ والمهابةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، وسائرِ أنواعِ الجهادِ، مع الصِّدقِ والأمانةِ، والعفَّةِ والصِّيانةِ، وحسنِ القصدِ والإخلاصِ، والابتهالِ إلى اللهِ، وكثرةِ الخوفِ منهُ والمراقبَةِ لهُ، وشدَّةِ التَّمسُّكِ بالأثرِ، والدُّعاءِ إلى اللهِ، وحسنِ الأخلاقِ، ونفعِ الخلقِ والإحسانِ إلَيهم، والصَّبرِ على من آذاهُ والصَّفحِ عنهُ، والدُّعاءِ لهُ، وسائرِ أنواعِ الخيرِ.

وكانَ رحمَهُ الله سيفًا مسلولًا على المخالفينَ، وشَجًى[2] في حلوقِ أهلِ الأهواءِ من المبتدعينَ، وإمامًا قائمًا ببيانِ الحقِّ ونُصرةِ الدِّينِ.

وكانَ بحرًا لا تكدِّرهُ الدِّلاءُ، وحَبرًا يقتدِي به الرِّجالُ الألبَّاءُ، وطفَتْ بذكرِه الأمصارُ، وضنَّتْ بمثلِه الأعصارُ[3].

واشتغَلَ بالعلومِ، وكانَ ذكيًّا، كثيرَ المحفوظِ، إمامًا في التَّفسيرِ وما يتعلَّقُ بهِ، عارفًا بالفقهِ واختلافِ العلماءِ والأصلَينِ والنَّحوِ واللُّغةِ وغيرِ ذلكَ مِن العلومِ النَّقليةِ والعقليَّةِ، وما تكلَّمَ معهُ فاضلٌ في فنٍّ إلَّا ظنَّ أنَّ ذلك الفنَّ فنهُ، ورآهُ عارفًا بهِ مُتقنًا لهُ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص١٨)، و«طبقات علماء الحديث» (٤/ ٢٨٠) كلاهما لابن عبد الهادي.

(٢) الشَّجى: مَا نَشَبَ فِي الحلق من غُصَّةِ هَمٍّ أَوْ عُودٍ. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: شجو).

(٣) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٢ ـ ٢٣)، و«طبقات علماء الحديث» (٤/ ٢٨٣) كلاهما لابن عبد الهادي.

وأما الحديثُ فكانَ حافظًا له، مميِّزًا بين صحيحِهِ وسقيمِهِ، عارفًا برجالِه، مُتضلِّعًا من ذلكَ، وله تصانيفُ كثيرةٌ وتعاليقُ مفيدةٌ في الفروعِ والأصولِ، ولقد أثنى عليهِ وعلى فضائلِه جماعةٌ من علماءِ عصرِه[1].

ولقد ترجمَهُ ابنُ عبدِ الهادي هذا بشيخِ الإسلامِ، مرارًا كثيرة، وذكرَ مِن مناقبِه في ترجمَتِه أشياءَ خطيرةً، وعدَّ كثيرًا مِن مصنَّفاتِه، ونصَّ على نفائِسَ مِن مؤلَّفاتِه.

وذكرَه في كتابِه «طبقاتِ الحفَّاظِ» بترجمةٍ مختصَرةٍ، ونعوتٍ جامعةٍ محرَّرةٍ مِن أوصافِ الأئمَّةِ، رحمَهُ اللهُ تعالى.

وقالَ: منَّ اللهُ تعالى على الشيخِ بسرعةِ الكتابةِ، ويكتُبُ من حفظِه من غيرِ نقلٍ.

قالَ: وأخبرَني غير واحدٍ أنَّه كتبَ مجلَّدًا لطيفًا في يومٍ، وكتبَ غيرَ مرَّةٍ أربعينَ ورقةً في جلسةٍ، وأحصيْتُ ما كتبَهُ في يومٍ وبيَّضهُ فكانَ ثمانيةَ كراريسَ في مسألةٍ مِن أشكلِ المسائلِ، وكان يكتُبُ على السُّؤالِ الواحدِ مجلَّدًا، وأمَّا جوابٌ يكتبُ فيهِ خمسينَ ورقةً وستِّين فكثيرٌ جدًّا[2].

***

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٢) انظر: «العقود الدرية» (ص٧٩ ـ ٨٠).

(١٢)

## ومنهم ابنُ فضلِ اللهِ العمريُّ

وهو القاضي الفاضِلُ البارعُ، النَّبيلُ العالمُ الأصيلُ، أبو العبَّاسِ، أحمدُ ابن القاضي الإمامِ، يمينِ مملكةِ الإسلامِ، يحيى بنِ فضلِ الله العدويُّ العمريُّ الشَّافعيُّ.

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ، وتوفِّيَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وسبع مئةٍ.

ذكرَهُ الذَّهبيُّ في «معجَمِه المختصِّ بالمحدِّثين» وقالَ: صاحبُ النَّظمِ والنَّثرِ والمآثرِ[١].

وقالَ ابنُ فضلِ اللهِ هذا في تاريخِه المسمَّى بـ «مسالكِ الأبصارِ في ممالكِ الأمصارِ» في ترجمةِ ابنِ تيميةَ، وهي طويلةٌ تبلغُ كرَّاسةً فأكثرَ:

ومنهم أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ بنِ عبدِ السَّلامِ، العلَّامةُ الحافظُ المجتهدُ المفسِّرُ، شيخُ الإسلامِ، نادرةُ العصرِ، علَمُ الزهادِ

هوَ البحرُ مِنْ أيِّ النَّواحي جِئتَه والبدرُ مِن أيِّ الضَّواحي رأيتَهُ

رضعَ ثديَ العلمِ منذُ فُطِمَ، وطلَعَ وجهُ الصَّباحِ ليحاكِيَه فلُطِمَ، وقطَعَ الليلَ والنهارَ رِدائينِ، واتخذَ العلمَ والعملَ صاحِبَينِ، إلى أن أنسى السَّلفَ بهُداهُ، وأنأى الخلفَ عن بلوغِ مداهُ، على أنه من بيتٍ نشأَتْ منهُ علماءُ في سالفِ الدُّهورِ، ونشأت منهُ عظماءُ على المشاهيرِ الشُّهورُ، فأحيا معالمَ بيتِه القديمِ إذ درسَ، وجنَى مِن فنَنِه الرَّطيبِ ما غرسَ، وأصبحَ في فضلِه آيةً، إلَّا أنهُ آيةُ الحرَسِ[٢]،

---

(١) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٤٦).

(٢) الحرس: الدهر. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (مادة: حرس).

عَرَضَت له الكُدَى[١] فزحزحها، وعارضَته البحارُ فضحضَها.

ثمَّ كانَ أمَّةً وحدَهُ، وفردًا حتَّى نزَلَ لحدَهُ، أخملَ مِنَ القُرناءِ كلَّ عظيمٍ، وأخمدَ من أهلِ البدَعِ كلَّ حديثٍ وقديمٍ، جاءَ في عصرٍ مأهولٍ بالعلماءِ، مشحونٍ بنجومِ السَّماءِ، تموجُ في جوانبِهِ بحورٌ خضارِمُ[٢]، وتطيرُ بينَ خافِقَيهِ نسورٌ قشاعِمُ[٣]، وتشرِقُ في أندِيَته بدورُ دُجُنَّةٍ[٤]، وتبرُقُ في ألوِيَته صدورُ أسِنَّةٍ، إلَّا أنَّ شمسَهُ طمسَتْ تلكَ النُّجومَ، وبحرَهُ طمَّ على تلكَ الغيومِ، وابتلَعَ غديرُهُ المطمئِنُّ جداوِلَها، واقتلَعَ طَودُهُ المُرجَحِنُّ[٥] جَنادِلَها[٦]، ثم عُبِّئَتْ له الكتائبُ، فحطَّمَ صفُوفَها، وخطَمَ أنوفَها، وأخمدَتْ أنفاسَهُم ريحُه، وأكمدَتْ شرارَاتهم مصابِيحُه.

تقدَّم راكبًا فيهم إمامًا ولولاه لَمَا ركبُوا وراءَه

فجمعَ أشتاتَ المذاهبِ، وشَتَاتَ الذَّاهبِ، ونقَلَ عن أئمَّةِ الإجماعِ فمَنْ سواهُم مذاهبَهم المختلِفَةَ واستحضرَها، ومثَّلَ صورَهم الذَّاهبةَ وأحضرَها، فلو شعرَ أبو حنِيفَةَ بزمانِهِ وملكَ أمرَه لأدنى عصرَهُ إليهِ مُقترِبًا، أو مالكٌ لأجرَى وراءَهُ أشهَبَه وكوكبًا، أو الشَّافعيُّ لقالَ: ليتَ هذا كانَ للأمِّ ولدًا وليتَني كنْتُ له أبًا، أو الشَّيبانيُّ ابنُ حنبلٍ لَمَا لامَ عِذارَه إذْ غدا منه لِفَرْطِ العَجَبِ أشيبًا، لا بل داودُ الظَّاهرِيُّ وسِنانُ

---

(١) الكدى: جمع كدية، وهي الأرض الصلبة. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: كدى).

(٢) الخضارم: جمع خضرم، وهو الواسع الكثير من كل شيء. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: خضرم).

(٣) قشاعم: المسن الضخم. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: قشعم).

(٤) بدورُ دجنةٍ: البدور في شدة الظلام، والدجنة: الظلمة. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: دجن).

(٥) المرجحن: الثقيل. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: رجحن).

(٦) الجندل: صخرة مثل رأس الإنسان. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ١٧١).

الباطنيُّ[١] لظنَّا تحقيقَه مِن مُنتَحِلِه، أو ابنُ حزمٍ والشَّهرستانيُّ لحشَرَ كلٌّ منهُما ذِكْرَهُ في نِحَلِه، أو الحاكمُ النَّيسابوريُّ والحافظُ السِّلَفيُّ لأضافَهُ هذا إلى «مستدرَكِه» وهذا إلى «رحَلِه».

تَـرِدُ إليـه الفَتاوى ولا يَرُدُّهـا، وتفِدُ عليهِ فيجيـبُ عنها بأجوبةٍ كأنَّـه كانَ قاعدًا لها يُعِدُّها.

أبـدًا علـى طَـرفِ اللِّسـانِ جَوابُه    فكأنَّمـا هـيَ دفعَـةٌ مـن صَيِّـبِ[٢]

وكانَ مِن أذكى النَّاسِ، كثيرَ الحفظِ، قليلَ النسيانِ، قلَّما حفِظَ شيئًا فنَسِيَه، وكان إمامًا في التفسيرِ وعلومِ القرآنِ، عارفًا بالفقهِ واختلافِ الفقهاءِ والأصولِيينَ، والنحوِ وما يتعلَّقُ بهِ، واللغةِ والمنطِقِ وعلمِ الهيئةِ، والجبرِ والمقابلَةِ وعلمِ الحسابِ، وعلمِ أهلِ الكِتابَينِ وعلمِ أهلِ البدَعِ، وغيرِ ذلكَ من العلومِ النقليَّةِ والعقليَّةِ، وما تكلَّمَ معه فاضلٌ في فنٍّ من الفنونِ إلا ظنَّ أن ذلك الفنَّ فنُّه.

وكانَ حُفَظَةً للحديثِ، مميِّزًا بينَ صحيحِهِ وسقيمِه، عارِفًا برجالِه، متضلِّعًا مِن ذلكَ، وله تصانيفُ كثيرةٌ، وتعاليقُ مُفيدةٌ، وفتاوى مُشبِعةٌ في الفروعِ والأصولِ والحديثِ، وردِّ البدَعِ بالكتابِ والسُّنَّةِ[٣].

***

---

(١) سنان الباطني: أبو الحسن سنان بن سلمان بن محمد البصري الباطني، راشد الدين، كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية، كان أديبًا فاضلًا عارفًا بالفلسفة وشيئًا من الكلام والشعر والأخبار، أحل لقومه وطء المحرمات من أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم، وأسقط عنهم صوم رمضان، مات سنة (٥٨٩هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ١٨٢ ـ ١٨٩)، و«الوافي بالوفيات» (١٥/ ٢٨٢).

(٢) البيت ليعلى بن إبراهيم الأربسي. كما في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٤٧٦).

(٣) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٨٧ ـ ٦٩٦).

(١٣)

## ومنهم بهاءُ الدِّينِ السُّبكيُّ

وهو الشَّيخُ الإمامُ العلَّامةُ، قاضي القضاةِ، علَمُ المناظرينَ، أحدُ المتبحِّرينَ، بهاءُ الدِّينِ، محمَّدُ بنِ عبدِ البرِّ بنِ يحيى بن عليِّ بن تمامٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ السُّبكيُّ الشَّافعيُّ.

ولدَ سنةَ سبعٍ وسبع مئةٍ، وتوفِّيَ بدمشقَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وسبع مئةٍ.

ذكرَه الذَّهبيُّ في «معجَمِه» فقالَ: إمامٌ متبحِّرٌ مناظرٌ، بصيرٌ بالعلمِ، محكِمٌ للعربيَّةِ وغيرِها، قالَ: ونابَ في الحكمِ[١]؛ يعني: عنِ الإمام تقيِّ الدِّين السُّبكيِّ.

ثم وليَ القضاءَ استقلالًا سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وسبع مئةٍ، ثم وليَ قضاءَ الدِّيارِ المصريةِ سنةَ ستٍّ وستِّينَ، ثم صُرِفَ عنهُ عامَ اثنين وسبعينَ، ثم وليَ قضاءَ دمشقَ ثانيًا.

قالَ العلَّامةُ صاحِبُ «كتابِ الردِّ الوافرِ»: حكَى بعضُ مَنْ لقِيتُه مِنَ الشُّيوخِ أنَّه حضَرَ مرَّةً مع قاضي القُضاةِ بهاءِ الدِّينِ السُّبكيِّ درسًا ألقاه بالمدرسَةِ الرَّواحيَّةِ[٢] بدمشقَ، فجاءَ طائفةٌ من القَلندَريَّةِ[٣] يسألونَهُ فأمرَ لهم بشيءٍ، ثم جاءَ طائفةٌ أُخرى

---

(١) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٢٣٧).

(٢) المدرسة الرواحية: أنشأها أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة الحموي، المتوفى (سنة ٦٢٢ هـ) داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية، وفوض نظرها وتدريسها إلى الشيخ ابن الصلاح الشهرزوري، وهي شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه، شمالي جيرون. انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ١٣٦)، و«الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي (١/ ١٩٩).

(٣) القلندرية: طائفة من الصوفية منسوبون إلى الشيخ جمال الدين محمد الساوجي، قدم دمشق، =

من الحيدَرِيَّةِ[(١)] وهو يتوضَّأُ على بركةِ المدرسَةِ المذكُورةِ، فأمرَ لهم بشيءٍ، ثم جاءَ فصلَّى ركعَتين، ثم قالَ: رحمَ اللهُ ابنُ تيميةَ كانَ يكرَهُ هؤلاءِ الطَّوائفَ على بدَعِهم.

قالَ: فلمَّا قالَ ذلكَ ذكَرْتُ له كلامَ النَّاسِ في ابنِ تيميةَ، فقالَ لي: واللهُ يا فلانُ! ما يبغِضُ ابنَ تيميةَ إلَّا جاهلٌ أو صاحِبُ هوى، فالجاهِلُ لا يدرِي ما يقولُ، وصاحبُ الهوى يصدُّهُ هواهُ عن الحقِّ بعدَ معرِفَته بهِ، قالَ: فأعجبَني ذلك منهُ، وقبَّلتُ يدَهُ، وقلْتُ: جزاك اللهُ خيرًا[(٢)].

قالَ: فكيفَ هذا لو سمِعَ ممَّا صحَّت بهِ الرِّوايةُ عن شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ السُّبكيِّ من مدحِهِ لابنِ تيميةَ لطارَ فرحًا مِن السُّرورِ، ولأنشَدَ مُتمثِّلًا بذلكَ البيتِ المشهورِ:

ومليحةٍ شَهِدَتْ لها ضَرَّاتُها والفَضلُ ما شهِدَتْ به الأعداءُ[(٣)]

---

= وسكن جبل قاسيون، ثم حلق وجهه ورأسه فانطلى على أولئك حاله الشيطاني فوافقوه، وحلقوا، وهذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة نيف وست مئة، ويتميزون بحلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم، ويلتزمون زي الأعاجم والمجوس، ويتناولون الحشيشة. انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٣١٤)، و«كنز الذهب في تاريخ حلب» لسبط ابن العجمي (١/ ٤١٣)، و«الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي (٢/ ١٦٣).

(١) الحيدرية: طائفة دخلت الشام سنة (٦٥٥هـ)، ومن شعارهم لبس الراحي والطراطير ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، تركوها لمتابعة شيخهم حيدر الزاوجي حين أسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه، فاقتدوا به في ذلك، وهو معذور مأجور، وفي رقابهم حلق كبار من حديد، بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريبًا من العونية. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٤/ ٦٦٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص٥١).

(٣) كذا في الأصل وفي بعض المصادر، والشطر الثاني جرى مجرى المثل وتناقله كثيرون، والبيت =

كتبَ الحافظُ الذَّهبيُّ فيما اشتُهِرَ إلى الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ السُّبكيِّ يعاتِبُه على ما صدرَ، فكتبَ الجوابَ يعتذِرُ عن تلك الحادِثاتِ، ومن بعضِهِ ما أشارَ إليه الشَّيخُ زينُ الدِّينِ ابنُ رجبٍ في كتابِه «الطَّبقاتِ» فقالَ: وممَّا وجِدَ في كتابٍ كتبَهُ العلَّامةُ قاضي القضاةِ أبو الحسنِ السُّبكيُّ إلى الحافظِ الذَّهبيِّ في أمرِ الشَّيخِ تقيِّ الدينِ - يعني ابنَ تيميةَ -: أما قولُ سيِّدِي في الشَّيخِ فالمملوكُ يتحقَّقُ كبرَ قدرِهِ، وزخارَةَ بحرِهِ، وتوسُّعَه في العلومِ الشَّرعيَّةِ والعقليَّةِ، وفرطَ ذكائِهِ واجتهادِهِ، وبلوغَه في كلٍّ مِن ذلكَ المبلغَ الَّذي لا يتجاوَزُ الوصفَ، والمملوكُ يقولُ ذلكَ دائمًا، وقدرُه في نفسي أعظَمُ مِن ذلكَ وأجلُّ، مع ما جمَعَ اللهُ له مِن الزَّهادَةِ والورَعِ والدِّيانةِ، ونصرةِ الحقِّ والقيامِ فيه، لا لغرَضٍ سواهُ، وجريِهِ على سَنَنِ السَّلفِ، وأخذِه مِن ذلكَ بالمأخذِ الأوفى، وغرابةِ مثلِه في هذا الزَّمانِ، بل مِن أزمانٍ. انتهى[1].

***

= للسري الرفاء، كما في «ديوان المعاني» للعسكري (١/ ٧٢)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٢/ ١٩٢)، لكن شطره الأول:

وشـــمائل شـــهد العـــدو بفضلهـــا

(١) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٥٠٣).

(١٤)

[ابن الصَّيرفي][١]

ومنهم الشَّيخُ العالمُ الفاضلُ المحدِّثُ، أبو المعالي، محمَّدُ بنُ طغريلَ الخوارِزميُّ.

أخذَ عن خلائقَ مِن رواةِ الآثارِ، ماتَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وسبع مئةٍ.

كتبَ بخطِّهِ سماعَ طبقةٍ فقالَ: وسيِّدنا الشَّيخ الإمام العلَّامة، الصَّدر الكبير الكاملِ، القُدوة الحافظ، الزَّاهد العابد الورع، شيخ الإسلام، مُفتي الفِرقِ، حجَّة المذاهبِ، مُقتدَى الطَّوائفِ، لسان الشَّريعةِ، مجتَهد العصرِ، وحيد الدَّهرِ، إمام الأئمَّةِ، تقيِّ الدِّينِ، أبي العبَّاسِ أحمد... وذكرَ بقيةَ نسبهِ.

وشيخنا الإمام العالم، الزَّاهد الورِع، المحدِّث العمدَة، الحجَّة الحافظ الكبير، محدِّث العصر، جمال الدِّينِ، أبي الحجَّاج يوسف بن الزَّكيّ المزيّ، وذكرَ بقيةَ المشايخ، والقارئ وبعض السَّامعِينَ[٢].

***

(١) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٢٣٤)، و«أعيان العصر» (٤/ ٤٨٠)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥/ ٢٠٣)، و«الرد الوافر» (ص٤٥).

(٢) انظر: «الرد الوافر» (ص٤٥)

## (١٥)

### [شمس الدين ابن سعد][(١)]

ومنهم العالمُ الفاضلُ، المحدِّثُ البارعُ المؤرِّخُ، جمالُ المؤرِّخينَ، شمسُ الدِّينِ، محمَّدُ بن الشَّيخِ المسندِ الكبيرِ يحيى بنِ الشَّيخِ الفقيهِ الفاضِلِ الأديبِ البارعِ محمَّدِ بن سعدِ بن مفلحٍ المقدسِيِّ الدِّمشقِيِّ الصَّالحيِّ.

وذكرَهُ الذَّهبيُّ في «معجَمِه»[(٢)].

كتبَ بخطِّه في طبقةِ سماعٍ لـ«جزءِ الحسنِ بنِ عرفةَ»: الشَّيخ الإمام، العالم العلَّامة، الأوحد البارع، الحجَّة الحافظ، الزَّاهد العابد الورع، شيخ مشايخِ الإسلامِ، بقيَّة الأئمَّةِ الأعلامِ، إمام الأئمَّةِ، قدوة الأمَّةِ، علَّامة الزَّمانِ، فريد العصرِ والأوانِ، بحر العلومِ، تقيّ الدِّينِ، أبي العبَّاسِ، أحمد، وذكرَ بقيَّةَ نسبِهِ وبقيَّةَ المشايخِ.

ثم قالَ: بقراءةِ الشَّيخِ الإمامِ، العالمِ العلَّامةِ، الحافظِ النَّاقدِ البارعِ، مؤرِّخِ الإسلامِ، علَمِ الدِّينِ البرزاليِّ[(٣)].

* * *

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٤/ ٦٤١)، و«الرد الوافر» (ص٦١).

(٢) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص٢٦٥).

(٣) انظر: «الرد الوافر» (ص٦٢).

(١٦)

## [بدر الدين ابن حبيب الحلبي][(١)]

ومنهم الشَّيخُ العالمُ الفاضلُ، المحدِّثُ المؤرِّخُ، المفيدُ الأديبُ، أبو محمَّدٍ، الحسنُ بنُ الشَّيخِ الإمامِ الحافظِ عمرَ بنِ الحسنِ بن عمرِو بن حبيبٍ الدِّمشقيُّ الحلبيُّ.

سمِعَ الحديثَ وجمعَ فأوعى، وسمَّعَ وروَى، وله مؤلفاتٌ عدةٌ منها: «درَّةُ الأسلاكِ في دولةِ الأتراكِ» قالَ فيهِ في ترجمَةِ سنةِ ثمانٍ وعشرينَ وسبع مئةٍ: وفيها توفِّيَ شيخُ الإسلام، تقيُّ الدِّينِ أبو العبَّاسِ، أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ بنِ عبدِ السَّلامِ ابنُ تيميةَ، بحرٌ زاخرٌ في النَّقلياتِ، وحبرٌ ماهرٌ في حفظِ عقائدِ العقليَّاتِ، وإمامٌ في معرفةِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وهمامٌ لا يميلُ إلى حلاوةِ من المنَّةِ.

كان ذا ورعٍ زائدٍ، وزهدٍ فرعُه في روضِ الرِّضا مائدٌ، وسخاءٍ وشجاعةٍ، وعزلةٍ وقناعةٍ، وتصانيفَ مشهورةٍ، وفتاوى أعلامُها منشورةٌ، يصدعُ بالحقِّ، ويتكلَّمُ فيما جلَّ ودقَّ، ويأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكَرِ، ويثابرُ على إقامةِ الحدودِ إن شُكِرَ أو لم يُشكَرْ[(٢)].

***

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢/ ١٣٤)، و«المنهل الصافي» لابن تغري بردي (٥/ ١١٦)، و«الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: ترجمة شيخ الإسلام من «درة الأسلاك في دولة الأتراك ـ مطبوع ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٤٥٧)، و«الرد الوافر» (ص٩٦).

## (١٧)

## [ابن قطلوبغا]

وكذلكَ العلامةُ صاحبُ «الفتاوى القاسميَّةِ» في مذهبِ السَّادةِ الحنفيَّةِ[1]، يترجِمُ ابنَ تيميةَ بشيخِ الإسلامِ عندَ ذكرِه في عدَّةِ مواضعَ من «فتاويهِ».

***

(١) وهي للشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، تلميذ ابن الهمام، المتوفى سنة (٨٧٩ هـ). انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٢٢٧).

## [ذكر جملة من العلماء أثنَوا على الشيخ ابن تيمية]

وبالجملةِ فذكرُ العلماءِ الأعلامِ الذين ترجَموا ابنَ تيميةَ بشيخِ الإسلامِ وأثنَوا عليه مما يطولُ، وهم كثيرٌ جدًّا، ذكرَ منهم صاحبُ «الردِّ الوافرِ» نحو ثمانينَ، يترجِمُهم ثم يذكُرُ مدحَهم لابنِ تيميةَ.

وقد قالَ الشَّيخُ الإمامُ، قاضي قضاةِ مصرَ والشَّامِ، مُفتي المسلمينَ محمَّدُ ابنُ الشَّيخِ صفيِّ الدِّين الأنصاريُّ الحنفيُّ ابنُ الحريريِّ[١]: إن لم يكُن ابنُ تيميةَ شيخَ الإسلامِ فَمَنْ[٢]؟!

وسُئلَ الشَّيخُ الإمامُ العلامةُ المحدِّثُ أبو حفصٍ عمرُ بن مُسلَّمٍ القُرشِيُّ[٣]، قاضي أهلِ دمشقَ في عصرِه، وواعظُ أهلِ مصرَ، عن الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابن تيميةَ فقالَ: هو شيخُ الإسلامِ على الإطلاقِ[٤].

***

---

(١) شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الحسن الدمشقي الحريري قاضي القضاة. كان عادلاً، مهيبًا، صارمًا، ديِّنًا، قوَّالًا بالحق، حميد الأحكام، رأسًا في المذهب، توفي سنة (٧٢٨هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٤/ ٦٧)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٤٧٨)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ١٥٣).

(٢) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٧٠٠).

(٣) عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر القرشي الملحي، أبو حفص، من قرية ملح من أعمال صرخد، ثم الدمشقي، الشافعي، توفي في ذي الحجة سنة (٧٩٢ هـ). انظر: «الرد الوافر» (ص١٨٨).

(٤) انظر: «الرد الوافر» (ص١٨٨)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣/ ١٥٧)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢٢٧).

## [ثناء علماء بغداد على الشيخ ابن تيمية]

وقد أثنى على الشَّيخِ ابنِ تيميةَ علماءُ بغدادَ، وأرسلُوا كتبًا في شأنِه لَمَّا كان محبوسًا بالقلعةِ مكتوبٌ فيها:

ثم إنَّ هذا الشَّيخَ المعظَّمَ الجليلَ، والإمامَ المكرَّمَ النَّبيلَ، أوحَدَ الدَّهرِ، فريدَ العصرِ، طرازَ المملكةِ الملكيَّةِ، وعلَمَ الدَّولةِ السُّلطانيَّةِ، لو أقسَمَ مُقسِمٌ باللهِ العظيمِ القديرِ أنَّ هذا الإمامَ الكبيرَ ليسَ له في عصرِهِ مماثلٌ ولا نظيرٌ؛ لكانَت يمينُه برَّةً غنيَّةً عن التَّكفيرِ، وقد خلَتْ مِنْ وجودِ مثلِه السَّبعَةُ الأقاليمِ إلَّا هذا الإقليمُ، يوافِقُ على ذلكَ كلُّ منصِفٍ جُبِلَ على الطَّبعِ السَّليمِ، ولسنا بالثَّناءِ عليهِ نُطرِيه، بل لو أطنَبَ مُطنِبٌ في مدحِهِ والثَّناءِ عليه لَمَا أتى على بعضِ الفضائلِ الَّتي فيهِ = أحمدُ بنُ تيميةَ، درةٌ يتيمَةٌ يُتنافَسُ فيها، تُشتَرى ولا تباعُ، ليسَ في خزائنِ الملوكِ درَّةٌ تماثِلُها وتؤاخِيها، انقطعَتْ عن وجودِ مثلِهِ الأطماعُ.

ولقد أصمَّ الأسماعَ وأوهى قوَى المتبوعِينَ والأتباعِ سماعُ رفعِ أبي العبَّاسِ أحمدَ ابن تيميةَ إلى القلاعِ، وليسَ يقَعُ من مثلِه أمرٌ يُنقَمُ منه عليهِ، إلَّا أن يكونَ أمرًا قد لُبِّسَ عليهِ، ونُسِبَ إلى ما لا يُنسَبُ مثلُه إلَيهِ.

والتَّطويلُ على الحضرةِ العليَّةِ لا يليقُ، إنْ يكُن في الدنيا قطبٌ فهو القطبُ على التَّحقيقِ.

أرسلوها في مكاتَباتِهم وفتاويهم الموافقةِ لقولِه، النَّاصرةِ لهُ، وقد ذكرتُ ذلك كلَّهُ في «كتاب مناقبِ ابنِ تيميةَ»[1].

***

(١) وانظر: «العقود الدرية» (٣٧٠ـ٣٧٣).

## [تلخيص ابن فضل الله العمري لمحنة شيخ الإسلام]

ولقد أنصَفَ ابنُ فضلِ اللهِ العمريُّ حيثُ قالَ في ترجمةِ ابنِ تيميةَ: فلقد اجتمعَ عليه عُصَبُ الفقهاءِ والقضاةِ بمصرَ والشَّامِ، وحشدوا عليهِ خيلَهم ورَجِلَهم، فقطَعَ الجميعَ وألزمَهم الحُججَ الواضحاتِ أيَّ إلزامٍ، فلما أفلسوا أخذُوه بالجاهِ والحكَّامِ، وقد مضى ومضَوا إلى المليكِ العلَّامِ؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١][١].

***

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص٨٤).

# فصلٌ في وفاةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ

قالَ الشَّيخُ الإمامُ العالمُ، العلَّامةُ الحافظُ، ثقةُ المحدِّثينَ، عمدةُ المؤرِّخينَ، علَمُ المفسِّرينَ، ابنُ كثيرٍ الدِّمشقيُّ الشَّافعيُّ في «تاريخِهِ»: ثم دخلَتْ سنةُ ثمانٍ وعشرينَ وسبع مئةٍ، في ذي القعدةِ منها كانَت وفاةُ شيخِ الإسلامِ أبي العبَّاسِ أحمدَ ابنِ تيميةَ قدَّسَ اللهُ روحَهُ[١].

قالَ: وقد اتَّفقَ موتُه في سحَرِ ليلةِ الإثنينِ، فذكَرَ ذلك مؤذِّنُ القلعةِ على المنارةِ بها، وتكلَّمَ بها الحرَّاسُ على الأبرِجةِ، فما أصبحَ النَّاسُ إلَّا وقد تسامَعوا بهذا الخَطْبِ الجسيمِ، فبادرَ النَّاسُ إلى الاجتماعِ حولَ القلعةِ من كلِّ مكانٍ أمكَنَهم المجيءُ منهُ، حتَّى مِن الغوطَةِ والمرجِ، ولم يطبُخْ أهلُ الأسواقِ شيئًا، ولا فتحوا كثيرًا مِن الدَّكاكينِ الَّتي مِن شأنِها أن تُفتَحَ أوائلَ النَّهارِ على العادةِ، وكانَ نائبُ السَّلطنةِ قد ذهبَ يتصيَّدُ في بعضِ الأمكنةِ[٢].

ثم ذكرَ ابنُ كثيرٍ صفةَ غسلِه وحملِه والصَّلاةِ عليهِ، والنَّاسُ في بكاءٍ وتهليلٍ في مخافتِه كلُّ واحدٍ في نفسِه، وفي ثناءٍ وتأسُّفٍ، والنِّساءُ فوقَ الأسطِحةِ مِن هناكَ إلى المقبرةِ يبكِيْنَ ويترحَّمْنَ.

قالَ: وبالجملةِ كانَ يومًا مشهودًا لم يُعهَدْ مثلُه بدمشقَ، ولا يمكِنُ أحدٌ حصرَ من حضَرَ الجنازةَ.

قالَ: ورُثِيَ بأشعارٍ كثيرةٍ وقصائدَ مطوَّلةٍ جدًّا، وقد أفرِدَت له تراجمُ كثيرةٌ، وصنَّفَ في ذلكَ جماعةٌ من الفضلاءِ[٣].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٥٩).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٦٠).

قالَ: وبالجملةِ كانَ رحمَهُ اللهُ من كبارِ العلماءِ، ممَّنْ يخطئُ ويصيبُ، ولكنْ كانَ خطؤُهُ بالنِّسبةِ إلى صوابه كنقطةٍ في بحرٍ لجِّيٍ، وخطؤُهُ أيضًا مغفورٌ له، كما صحَّ في «البخاريِّ»: «إذا اجتهَدَ الحاكمُ فأصابَ فلهُ أجرانِ، وإذا اجتهَدَ فأخطأَ فلَهُ أجرٌ»[1]، فهو مأجورٌ.

وقالَ الإمامُ مالكُ بن أنسٍ: كلُّ أحدٍ يُؤخذُ من قولِه ويُتركُ إلَّا صاحِبَ هذا القبرِ ﷺ[2].

انتَهى كلامُ ابنِ كثيرٍ مُلخَّصًا[3].

وقالَ الحافظُ البرزاليُّ في «تاريخِه»: وفي ليلةِ الإثنين العشرينَ من ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وسبعِ مئةٍ توفِّيَ الشَّيخُ الإمامُ العلَّامةُ الفقيهُ الحافظُ الزَّاهدُ القدوةُ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ شيخِنا الإمامِ المفتي شهابِ الدِّينِ أبي المحاسنِ عبدِ الحليمِ بنِ الشَّيخِ الإمامِ شيخِ الإسلامِ مجدِ الدِّينِ أبي البركاتِ عبدِ السَّلامِ ابن تيميةَ، بقلعةِ دمشقَ، في القاعةِ الَّتي كانَ محبوسًا فيها، واجتمَعَ النَّاسُ بالقلعةِ والطَّريقِ إلى جامعِ دمشقَ، وامتلأَ الجامعُ وصحنُهُ، والكلَّاسةُ، وبابُ البريدِ، وبابُ السَّاعاتِ.

وحضرَتِ الجنازةُ السَّاعةَ الرَّابعةَ، ووُضِعَتْ في الجامعِ، والجُندُ يحفظُونها مِن شِدَّةِ الزِّحامِ، وصُلِّيَ عليهِ أوَّلًا بالقلعةِ، ثم صُلِّيَ عليهِ بجامعِ دمشقَ عقبَ الظُّهرِ، وحُمِلَ مِن بابِ البريدِ... وذكرَ بقيَّةَ ذلكَ، وصِفَةَ دفنِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٤١) من قول ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه البخاري في «قرة العينين» (١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٠٠) من قول مجاهد.

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٦٠).

قالَ: وكانَ دفنُه وقتَ العصرِ، وذلكَ مِن كثرَةِ مَن يأتي ويصلِّي عليهِ مِن أهلِ البساتينِ وأهلِ الغُوطةِ وأهلِ القُرَى، وغلَقَ النَّاسُ حوانِيتَهم، ولم يتخلَّفْ عن الحضورِ إلَّا مَن هو عاجزٌ مع التَّرحُّمِ والدُّعاءِ له، وحضرَ نساءٌ كثيرٌ بحيثُ حُزِرْنَ بخمسةَ عشرَ ألفَ امرأةٍ، غير اللَّواتي كنَّ على الأسطُحِ، وأمَّا الرِّجالُ فحُزِروا بمئةِ ألفٍ إلى أكثرَ مِن ذلكَ إلى مئتي ألفٍ.

ثم قالَ: ولا شكَّ أنَّ جنازةَ أحمدَ بنِ حنبلٍ كانت هائلةً عظيمةً بسبَبِ كثرةِ أهلِ بلدِه واجتماعِهم لذلكَ وتعظيمِهم لهُ، وأنَّ الدَّولةَ كانَتْ تحبُّهُ، والشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ ابنُ تيميةَ توفِّيَ ببلدِهِ دمشقَ، وأهلُها لا يعشِّرونَ أهلَ بغدادَ كثرةً، ولكنَّهم اجتمعُوا لجنازتِهِ اجتماعًا لو جمعَهم سلطانٌ قاهرٌ وديوانٌ حاصرٌ لَمَا بلَغُوا هذه الكثرةَ، مع أنَّه ماتَ بالقلعةِ محبوسًا مِن جهةِ السُّلطانِ.

وكثيرٌ مِن الفقهاءِ والفقراءِ يذكرونَ عنه للنَّاسِ أشياءَ كثيرةً ينفِرُ منها طباعُ أهلِ الأديانِ فضلًا عن أهلِ الإسلامِ، وهذه كانَت جنازَتُهُ رحمَهُ اللهُ. انتهى ملخَّصًا[1].

وقالَ بعضُ من حضَرَ مِن الثِّقاتِ: كنْتُ ممَّن صلَّى عليه في الجامعِ، وكان لي مُستشرَفٌ على المكانِ الَّذي صُلِّيَ عليهِ بظاهرِ دمشقَ، وجعلتُ أنظرُ يمينًا وشمالًا، ولا أدري أواخِرَهم، بل رأيتُ النَّاسَ قد طبَّقوا تلك الأرضَ كلَّها[2].

واتَّفقَ جماعةٌ ممن حضَرَ وشاهدَ الناسَ والمصلِّينَ عليهِ على إنهم يزيدُونَ على نحوٍ من خمس مئةِ ألفٍ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٨٦ـ٣٨٨)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩)، و«الرد الوافر» (ص١٢٢ ـ ١٢٣).

(٢) انظر: «الأعلام العلية» (ص٨٤).

وحضَرَها نساءٌ كثيرٌ بحيثُ حُزِرنَ بخمسَةَ عشرَ ألفًا.

قالَ أهلُ التَّاريخِ: لم يُسمَع في جنازةٍ بمثلِ هذا الجمعِ إلا جنازةَ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبَلٍ(١).

قالَ الدَّارَقطنيُّ: سمعْتُ أبا سهلِ بنَ زيادٍ القطَّانِ يقولُ: سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ أحمدَ بن حنبلٍ يقولُ: سمعتُ أبي يقولُ: قولوا لأهلِ البدعِ: بينَنا وبينكُم الجنائزُ(٢).

قالَ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ: حزَرَ الحزَّارون المصلِّينَ على جنازةِ أحمدَ فبلَغَ العددُ بحزِرهم ألفَ ألفٍ وسبع مئةَ ألفٍ سوى الذين كانوا في السُّفُنِ(٣).

وقالَ ابنُ فضلِ اللهِ العُمريُّ في ترجمَتِه لابنِ تيميةَ: وكانَ قبلَ موتِه قد مُنِعَ الدَّواةَ والقلمَ، وطُبِعَ على قلبِه منه طابعُ الألمِ، فكانَ ذلك مبدأَ مرَضِه ومنشَأَ عرضِه، حتَّى نزَلَ قِفارَ المقابرِ، وترَكَ فقَارَ المنابرِ، وحلَّ ساحةَ ربِّهِ وما يحاذِرُ، وأخذَ راحةَ قلبِهِ مِن اللَّائمِ والعاذِرِ، فماتَ وما ماتَ، لا بل حييَ، وعُرفَ قدرُهُ لأن مثلَه ما رُئِيَ(٤).

ما برِحَ على المآثرِ إلى أن صرعَهُ أجلُهُ، وأتاهُ بشيرُ الجنَّةِ يستعجِلُه، فانتقَلَ إلى اللهِ، والظنُّ به أنَّه لا يُخجِّلُه(٥).

---

(١) انظر: «الأعلام العلية» (ص٨٤).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ١٠٦٣)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٣٧٦).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٣٢)، وانظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩١).

(٥) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٦).

وكانَ يومُ دفنِهِ يومًا مشهودًا، ووقتًا معدودًا، ضاقَت بِهِ البلدُ وظواهِرُها، وتُذكِّرَتْ به أوائلَ الرَّزايا وآواخِرَها، ولم يكن أعظَمُ منها منذ مِئينَ سنينَ جنازةً رُفعَتْ على الرِّقابِ، ووُطِئت في زِحامِها الأعقابُ، وسارَ مرفوعًا على الرُّؤوسِ، متبوعًا بالنُّفوسِ، تحدُوْه العَبَراتُ وتتبَعُه الزَّفراتُ[1].

كان أمَّةً وحدَهُ، وفردًا حتى نزَلَ لحدَهُ[2].

ورثاهُ بقصيدةٍ طويلةٍ منها:

بَــذَّ السَّــوابق ممتــدُّ العبــادَةِ لا ... ينالَــهُ ملَــلٌ فيهــا ولا ضجَــرُ

ولـم يكُـنْ مثلُـهُ بعـدَ الصَّحابَـةِ فـي ... عِلـمٍ عَظيـمٍ وزُهـدٍ مـا لـه خَطَـرُ

طَريقَــةٌ كانَ يمشِـي قبـلَ مِشـيَتِه ... بهـا أبـو بكـرٍ الصِّدِّيـقُ أو عمـرُ

فـردَ المذاهِـبَ فـي أقـوالِ أربَعـةٍ ... جـاؤوا علـى أثـرِ السُّبَّاقِ وابتَـدَرُوا

لَمَّـا بنَـوا قبلَـهُ عُليـا مَذاهِبِهـم ... بنـى وعمَّـرَ منهـا مثـلَ مـا عَمَـروا

مثـلَ الأئمَّـةِ قـد أحيَـا زمانَهـم ... كأنَّـهُ كانَ فيهـم وهـوَ مُنتظَـرُ

إنْ يرفَعُوهـم جميعًـا رفـعَ مُبتـدَأٍ ... فحقُّـهُ الرَّفـعُ أيضًـا إنَّـهُ خَبـرُ

قالـوا: قَبرنـاه قُلنـا: إنَّ ذا عَجَـبٌ ... حقًّـا أللكوكـبِ الـدُّرِّيَ قـد قَبـرُوا

لـم يَبكِـه نَدمًـا مـن لا يصـبُّ دَمًـا ... يجـري بـهِ دِيَمًـا تهْمِـي وتَنهَمِـرُ

لهَفِـي عَليـكَ أبـا العبَّـاسِ كَـم كـرَمٍ ... لمـا قَضَيـتَ قضَـى مـن عُمـرِه العمُـرُ

سَـقَى ثـراكَ مَـن الوَسْـمِيِّ صَيِّبُـه ... وزارَ مَفنـاكَ قَطْـرٌ كلُّـهُ قَطَـرُ

---

(١) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩١ ـ ٦٩٢).

(٢) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٨٨).

يــا وارِثًــا مِــن عُلــومِ الأنبِيــاءِ نُهًــى أورَثْــتَ قَلبــي نــارًا وَقدُهــا الفِكَــرُ

يــا واحِــدًا لسْــتُ أستَثني بـهِ أحـدًا مِــنَ الأنـــامِ ولا أُبـقِـــي ولا أذَرُ

يــا عالمًــا بنقــولِ الفقــهِ أجمَعِهــا أعنــكَ تُحفَــظُ زَلَّاتٌ كمــا ذَكَــرُوا

كَــم مِــن فتــىً جاهِــلٍ غِــرٍّ أبنْــتَ لــهُ رُشْـدَ المقَــالِ فـزَالَ الجَهـلُ والغَـرَرُ

مــا أنكَــروا منــكَ إلَّا أنَّهُــم جهِلــوا عظيــمَ قــدرِكَ لكِــن ســاعَدَ القــدَرُ

قالــوا بأنَّــكَ قــد أخطــأْتَ واحــدَةً وقــد يكُــونُ فهــلَّا منــكَ تُغتَفَــرُ

ومَـن يكُـونُ علـى التَّحقِيـقِ مجتَهِـدًا لــه الثَّــوابُ عَلَــى الحالَيــن لا الــوَزَرُ

ألــم تكُــن بأحادِيــثِ النَّبــيِّ إذا سُــئلْتَ تَعــرِفُ مــا تَأتــي ومــا تَــذَرُ

حاشَــاكَ مِــن شَــبَهٍ فيهــا ومِــن شُــبَهٍ كِلاهُمــا مِنــكَ لا يَبقَــى لــهُ أثَــرُ

عَليـكَ في البحـثِ أن تُبـدِي غَوامِضَهُ ومــا عَلَيــكَ إذا لــم تَفهَــمِ البقَــرُ

قدَّمْــتَ للهِ مــا قدَّمْــتَ مِــن عَمَــلٍ ومــا عَلَيــكَ بهــم ذَمُّــوكَ أو شَــكَروا

هــلْ كانَ مثلكَ مَـن يخفَى عَلَيـهِ هُدًى ومِــن ســمائِكَ تبــدو الأنجُــم الزُّهــرُ

وكيــفَ تحــذَرُ مِــن شــيءٍ تــزِلُّ بــهِ أنــتَ التَّقيُّ فمــاذا الخوفُ والحــذَرُ[1]

وقد قالَ الأفاضلُ في الشيخِ ابنِ تيميةَ مراثيَ كثيرةً ذكرْتُ جانبًا منها في كتابي: «الكواكبُ الدُّرِّيَّةُ في مناقبِ المجتهدِ ابنِ تيميةَ».

* * *

(١) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٧٠٢ ـ ٧٠٨)، و«العقود الدرية» (ص٥٢٦ ـ ٥٣١).

(١٨)

[أبو حفص البزار]

وقالَ الشَّيخُ الإمامُ الحافظُ أبو حفصٍ عمرُ البغداديُّ البزَّارُ[١] في ترجمةِ ابنِ تيميةَ: وما وصلَ خبرُ موتِه إلى بلدٍ فيما نعلَمُ إلَّا وصُلِّيَ عليه في جميعِ جوامعِه ومجامعِه، خصوصًا أرضَ مصرَ والشَّامِ والعراقِ وتبريزَ والبصرةِ وقُراها وغيرَها[٢].

وأطالَ في تعدادِ فضائلِ الشَّيخِ، وجمعَ له ترجمةً مُفردةً سمَّاها: «الأعلام العليَّة في مناقبِ الإمامِ ابنِ تيميةَ»[٣].

وقد تقدَّمَ قولُ الحافظِ ابن رجبٍ أنهُ صُلِّيَ على ابنِ تيميةَ صلاةَ الغائبِ في غالبِ بلادِ الإسلامِ القريبةِ والبعيدةِ حتى في اليمنِ والصِّينِ، وأخبرَ المسافرونَ أنهُ نودِيَ بأقصى بلادِ الصِّينِ للصلاةِ عليهِ يومَ جمعةٍ: الصَّلاةُ على ترجمانِ القُرآنِ، رحمَهُ اللهُ تعالى.

اللهمَّ! تغمَّده برحمَتك ورِضوانكَ، وأسكِنهُ أعلَى فراديسِ جنَّاتِكَ، وانفَعنا ببركاتِه الوافرَةِ وعُلومِهِ الزَّاخرةِ، وأنفاسِهِ الطَّاهرَةِ، وأسرارِهِ الباهرَةِ، وأسارِيرِهِ الزَّاهرةِ، واجمَع لنا بين خيرَي الدُّنيا والآخرةِ، آمينَ آمينَ.

---

(١) عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، الأزجي، البزار، الفقيه المحدث، قاضي الحنابلة، سراج الدين أبو حفص، أخذ عن الشيخ ابن تيمية، صنف كثيرًا في الحديث وعلومه، وفي الفقه والرقائق، توفي بالطاعون في طريقه للحج سنة (٧٤٩هـ). وكتابه: «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» مطبوع. انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٤٦)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢١١).

(٢) انظر: «الأعلام العلية» (ص٨٥).

(٣) من قوله: «أجله وأتاه بشير الجنَّة يستعجله» إلى هنا سقط من الأصل، والمثبت من (ط)، وهي ما يقارب لوحة.

## خاتمةٌ لطيفةٌ

فقد كتَبَ جماعةٌ من الأئمةِ الأماثلِ، والعلماءِ الأفاضِلِ تقاريظَ على «كتابِ الردِّ الوافرِ» تصنيفِ الإمامِ العالمِ الأوحَدِ القُدوةِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ ناصرِ الدِّينِ الشَّافعيِّ، خادمِ السُّنَّةِ، الَّذي أَلَّفهُ في الرَّدِّ على مَنْ يطعَنُ في ابنِ تيميةَ، ولقد بالغَ هذا الطَّاعنُ المتهاوِنُ بذنبِه، والمتجرِّئُ على ربِّهِ، فنسَبَ الشَّيخَ إلى الكُفرِ، بل نسَبَ معَه أيضًا من أطلَقَ عليهِ: شيخَ الإسلامِ!

فانظُر إلى ما يقَعُ مِن سفهاءِ الأنامِ، ورِعاعِ اللِّئامِ، وغوغاءِ العَوامِ، ومَن يعُدُّ نفسَهُ بشرًا وهو مِن الأنعامِ، وما هو إلَّا على حدِّ قولِ الأعشى:

كناطِحٍ صخـرَةً يـومًـا ليُوهِـنَـهـا ... فلَم يُضِرْهـا وأوهَـى قرنَـهُ الوَعِـلُ[1]

**وانتقَيتُ منه هذهِ التراجِمَ، معَ بعضِ زوائدَ لطيفَةٍ:**

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص٢٠).

(١٩)

[الحافظ ابن حجر العسقلاني]

صورةُ تقريظِ الإمامِ الحافظِ ابنِ حجرَ العسقلانيِّ:

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عبادِهِ الَّذين اصطَفَى.

وقفْتُ على هذا التَّأليفِ النَّافعِ، والمجموعِ الَّذي هو للمقاصدِ التي جُمِعَ لأجلِها جامعٌ، فتحقَّقْتُ سَعَةَ اطلاعِ الإمامِ الَّذي صنَّفَهُ، وتضلُّعَه مِن العلومِ النَّافعةِ بما عظَّمهُ من العلماءِ وشرَّفَهُ.

وشهرةُ إمامةِ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ أشهرُ مِن الشَّمسِ، وتلقيبُهُ بشيخِ الإسلامِ في عصرِهِ باقٍ إلى الآنَ على الألسنةِ الزَّكيَّةِ، ويستمِرُّ غدًا كما كانَ بالأمسِ، ولا ينكِرُ ذلكَ إلَّا مَن جهِلَ مقدارَهُ وتجنَّبَ الإنصافَ، فما أعظَمَ غلطَ مَن تعاطَى ذلكَ وأكثرَ عِثارَهُ.

ولو لم يكُن مِن الدَّليلِ على إمامةِ هذا الرَّجلِ إلَّا ما نبَّهَ عليهِ الحافظُ الشَّهيرُ علَمُ الدِّينِ البرزاليُّ في «تاريخِه» أنَّه لم يوجَد في الإسلامِ مَن اجتمَعَ في جنازَتِهِ ممَّا اجتمعَ في جنازةِ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ، وأشارَ إلى أن جنازةِ الإمامِ أحمدَ كانت حافلةً جدًّا، شهِدَها مئاتُ ألوفٍ، ولكن لو كانَ بدمشقَ مِن الخلائقِ نظيرُ مَن كانَ ببغدادَ بل أضعافُ ذلكَ لَمَا تأخَّرَ أحدٌ منهم عن شهودِ جنازَتِه، وأيضًا فجميعُ مَن كانَ ببغدادَ إلَّا الأقلُّ كانوا يعتقِدُونَ إمامةَ الإمامِ أحمدَ، وكانَ أميرُ بغدادَ خليفةُ الوقتِ إذ ذاكَ في غايةِ المحبَّةِ لهُ والتَّعظيمِ، بخلافِ ابنِ تيميةَ؛ فكانَ أميرُ البلَدِ حينَ ماتَ غائبًا، وكانَ أكثرُ مَن بالبلدِ مِن

الفقهاءِ قد تعصَّبُوا عليهِ حتَّى ماتَ محبوسًا بالقلعةِ، ومعَ هذا فلم يتخلَّفْ عن حضورِ جنازَتِه والتَّرحُّمِ عليهِ والتَّأسُّفِ إلَّا ثلاثةُ أنفسٍ، تأخَّرُوا خشيةً على أنفُسِهم من العامةِ.

ومعَ حضورِ هذا الجمعِ العظيمِ فلم يكُن لذلكَ باعثٌ إلَّا اعتقادُ إمامَتِه وبَركَتِه، لا بجمعِ سلطانٍ ولا غيرِهِ، وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «أنتُم شهداءُ اللهِ في الأرضِ»(١).

ولقد قامَ على الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ جماعةٌ من العلماءِ مرارًا بسببِ أشياءَ أنكرُوها عليهِ مِن الأصولِ والفروعِ، وعُقِدَ له بسببِ ذلكَ عدَّةُ مجالسَ بالقاهرةِ وبدمشقَ، ولا يُحفَظُ عن أحدٍ منهم أنَّه أفتَى بزندَقتِه، ولا حكَمَ بسفكِ دمِهِ، معَ شدَّةِ المتعصِّبينَ عليهِ حينئذٍ مِن أهلِ الدَّولةِ، حتى حُبِسَ بالقاهرةِ ثم بالإسكندريَّةِ، ومع ذلك فكلُّهم معترِفٌ بسعةِ علمِه، وكثرَةِ ورَعِه وزهدِه، ووصفِهِ بالسَّخاءِ والشَّجاعةِ، وغيرِ ذلكَ من قيامِهِ في نصرةِ الإسلامِ، والدُّعاءِ إلى اللهِ في السِّرِّ والعلانيةِ.

والمسائلُ التي أُنكِرَت عليه ما كانَ يقولُها بالتَّشهِّي، وهذهِ تصانيفُهُ طافحةٌ بالرَّدِّ على مَن يقولُ بالتَّجسُّمِ والتَّبرِّي منهُ، ومعَ ذلكَ فهو بشرٌ يخطىءُ ويصيبُ، فالَّذي أصابَ فيه وهو الأكثرُ يُستفادُ منهُ ويُترحَّمُ عليهِ بسببَه، والَّذي أخطأَ فيهِ لا يُقلَّدُ فيهِ، بل هوَ معذورٌ؛ لأنَّ أئمةَ عصرِه شهِدُوا له بأن أدواتَ الاجتهادِ اجتمعَتْ فيهِ، حتَّى كان أشدُّ المتعصِّبينَ عليه والقائمِينَ في إيصالِ الشرِّ إليهِ وهو الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ

(١) رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الزملكانيُّ شهِدَ له بذلكَ، وكذلكَ الشيخُ صدرُ الدِّينِ ابن الوكيلِ[١] الَّذي لم يثبُتْ لمناظرَتِه غيرُه.

ومن أعجَبِ العجَبِ أنَّ هذا الرَّجلَ كانَ أعظَمَ النَّاسِ قيامًا على أهلِ البدَعِ من الرَّوافضِ والحلوليَّةِ والاتِّحاديةِ، وتصانيفُه كثيرةٌ شهيرةٌ، وفتاوِيه في ذلكَ لا تدخُلُ تحت الحصرِ، فيا قرَّةَ أعيُنِهم إذا سمعوا بكفرِه، ويا سرورَهم إذا رأوا مَن يكفِّرُ مَنْ لا يكفِّرُهُ!

فالواجبُ على مَنْ تلبَّسَ بالعلمِ وكانَ له عقلٌ أنْ يتأمَّلَ كلامَ الرَّجلِ مِن تصانيفِهِ المشهورةِ، أو مِن ألسنَةِ من يوثَقُ بِهِ من أهلِ النَّقلِ، فيرُدُّ مِن ذلكَ ما يُنكَرُ فيحذَرُ منهُ على قصدِ النُّصحِ.

## [ثناء ابن حجر على ابن القيم]

ولو لم يكُن للشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ إلَّا تلميذُه الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ ابنُ القيمِ الجوزيَّةِ صاحِبُ التَّصانيفِ النَّافعةِ السَّائرةِ الَّتي انتفَعَ بها الموافقُ والمخالفُ = لكانَ غايةً في الدلالةِ على عِظَمِ منزِلَتِه.

فكيفَ وقد شهِدَ له بالتَّقدُّمِ في العلومِ والتَّمييزِ في المنطوقِ والمفهومِ أئمَّةُ عصرِه مِن الشَّافعيَّةِ وغيرِهم، فضلًا عن الحنابلةِ.

---

(١) صدر الدين محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله الشافعي الأشعري، المعروف بابن الوكيل وبابن المرحّل وبابن الخطيب، شيخ الشافعية، أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، كان ذكيًّا نظّارًا حافظًا، يسرد في كل فن أسفارًا، لا يقوم أحد لجداله، ولا يُرى في عصره أحد من رجاله، مكثراً من جميع الفنون، يستحضر الأسانيد والمتون، ولم يكن يقوم بمناظرة العلامة تقي الدين بن تيمية سواه، توفي سنة (٧١٦هـ). انظر: «العبر» للذهبي (٤/ ٤٥)، و«أعيان العصر» للصفدي (٥/ ٥)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٣٩٠).

فالَّذي يُطلِقُ عليهِ ـ مع هذهِ الأشياءِ ـ الكفرَ أو على مَن سمَّاهُ شيخَ الإسلامِ لا يُلتفَتُ إليهِ، ولا يعوَّلُ في هذا المقامِ عليهِ، بل يجِبُ ردُّهُ عن ذلكَ إلى أن يراجِعَ الحقَّ ويُذْعِنَ للصَّوابِ.

واللهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدي السَّبيلَ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ.

قالَ ذلكَ وكتبَه أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ محمدِ ابنِ حجرٍ الشافعيُّ، وذلكَ في يومِ الجمعةِ، تاسعَ ربيعٍ الأوَّلِ، سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثمان مئةٍ.

* * *

**(٢٠)**

## [بدر الدِّين العيني][1]

وهذا صورةُ تقريظِ الإمامِ الهمامِ شيخِ الإسلامِ صاحبِ «تحريرِ الكلامِ»، وإمامِ الحنفيَّةِ في زمانِه، الشَّيخِ العينيِّ رحمَهُ اللهُ تعالى:

إنَّ أضوعَ زهرٍ تفتَّقَ عنهُ أكمامُ ألسُنِ الأنامِ، وأبدعَ ذكرٍ يعبَقُ منه طيبُ الأفهامِ، حمدُ مَن أجرَى ماءَ التِّبيانِ في عودِ اللِّسانِ، لحملِ ثمارِ المعاني والبيانِ، وكشَفَ ضبابةَ الأوهامِ بشموسِ الحقائقِ، وأبانَ ما في القلوبِ بأقمارِ الحقائقِ، وأشرَعَ أسنَّةَ الخواطرِ والأفكارِ بأيدي أنوارِ البصائرِ والأبصارِ، إلى ثغرِ العلومِ والأخبارِ، وأقلَعَ عنَّا بنسائمِ ألطافِهِ عجاجَةَ الظُّنونِ والشُّكوكِ، ووقعَ لنا مناشيرَ الصِّدقِ في السُّلوكِ، وأراحَنا في ركوبِ أعناقِ الكلامِ مِن العثراتِ والـمَلامِ، وأراحَنا عن مقالاتٍ لا يُقالُ فيها العِثارُ، ومحالاتٍ يستحِيلُ فيها الإعذارُ.

اللَّهمَّ صلِّ على صاحبِ الوحيِ والرِّسالَةِ، المخلوقِ مِن طينَةِ الفصاحةِ والبَسالةِ، الَّذي أصعَدْتَهُ في ذُرى الملكوتِ، وأعطيتَهُ الكتابَ، وقرَنْتَ بطاعَتِهِ ومعصِيَتِهِ الثَّوابَ والعقابَ؛ محمَّدٍ المصطفى، المستأثرِ بالشَّفاعةِ يومَ الحسابِ، وعلى آلِه الذينَ تنزَّهوا في رياضِ نبوَّتِه، وأصحابِه الذينَ تقلَّدُوا بسيوفِ النُّصرةِ في دعوَتِه، وعلى علماءِ الأمَّةِ الَّذين استظهرُوا على صَدماتِ الدَّهرِ وصولَتِه، بنزعِ ألسنَتِهم في تفويقِ سهامِ الطَّعنِ إلى أغراضِ العصبيَّةِ، وإقلاعِ أسنَّةِ خوضِهم في أعراضِ الأنفُسِ الأبيَّةِ، فلذلكَ صاروا أنجُمًا للاهتداءِ، وبدورًا للاقتداءِ، فأجدِرْ بهم أنْ يُفوَّه لهم بمشايخِ الإسلامِ، وأنصارِ شريعَةِ خيرِ الأنامِ.

---

(١) تقدم التعريف به أول الكتاب.

وبعدُ:

فإنَّ مؤلِّفَ «كتابِ الردِّ الوافرِ» قد جدَّ في هذا التَّصنيفِ البديعِ الزَّاهرِ، وجلا بمنطقِهِ السَّحَّارِ الرَّدَّ على مَن تفوَّهَ بالإكفارِ لعلماءِ الإسلامِ والأئمَّةِ الأساطينِ، والأعلامِ الَّذينَ تبوَّؤوا الدَّارَ في رياضِ النَّعيمِ، واستنشَقُوا رياحَ الرَّحمةِ مِنْ ربٍّ كريمٍ، فمَنْ طَعَنَ في واحدٍ منهم أو نقَلَ غيرَ صحيحٍ عنهم فكأنَّما نفخَ في الرَّمادِ، واجتنَى مِن خَرْطِ القَتادِ[1].

وكيفَ يحلُّ لمن يتَّسِمُ بالإسلامِ، أو يتسمَّى بسمةٍ أو علمٍ أو فهمٍ وإفهامٍ أن يكفِّرَ مَن قلبُه عن ذلكَ سليمٌ بهيجٌ، واعتقادُه لا يكادُ إلى ذلكَ يهيجُ، ولكن من لم يُورِ زَنْدَ[2] طبعِه في القريضِ لم يزَل يجدُ العَذْبَ مُرًّا كالمريضِ، والعائبُ بجهلِهِ شيئًا يبدِي صفحةَ معاداتِه، ويتخبَّطُ خبطَ العشواءِ في محاوراتِه، وليسَ هو إلَّا كالجُعلِ باشتمامِ الوردِ يموتُ حتفَ أنفِه، وكالخفَّاشِ يتأذَّى بظهورِ سَنا الضَّوءِ لسوءِ بصرِه وضعفِه، وليسَ له سجِيَّةٌ نقَّادةٌ، ولا روِيَّةٌ وقَّادةٌ، وما هم إلَّا صَلقَعُ بَلْقَعُ سَلْقَعُ، صَلْمَعَةٌ بنُ قَلْمَعَةَ، وهيَّانُ بنُ بيَّانَ، وهيُّ بنُ بيٍّ، وضُلُّ بنُ ضُلٍّ، وضَلالُ بنُ التَّلالِ[3].

---

(١) دونه خرط القتاد: مثل يضربان للأمر الشاق، والخرط: قشر الورق عن الشجر اجتذابًا بكفِّك، والقتاد: شجر له شوك صلب. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: خرط، قتد)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٨٢).

(٢) ورى الزند يري وريًا: إذا خرجت منه النار، فهو وار، وأوريته أنا إيراء. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (مادة: وري). والزَّنْدُ والزَّنْدة: خَشَبتان يُستقدَح بهما. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: زند).

(٣) تقدم تفسير غريب هذه العبارات أول الكتاب.

ومِنَ الشَّائعِ المستفيضِ أنَّ الشَّيخَ الإمامَ العالمَ العلَّامةَ تقيَّ الدِّينِ ابنَ تيميةَ مِن شُمِّ عَرانينِ الأفاضِلِ، ومِن جُمِّ براهينِ الأماثلِ، الَّذي كانَ لهُ مِن الأدبِ مآدِبُ تغذِّي الأرواحَ، ومِن نخبِ الكلامِ له سُلافةٌ[1] تهزُّ الأعطافَ المراحَ، ومِن ثمارِ أفكارِ ذوي البراعةِ، طبعُهُ المفلقُ في الصِّناعةِ، الخاليةِ عن وصمَةِ الشَّناعةِ، وهو الكاشفُ عن وجوهِ مخدَّراتِ المعاني نقابَها، والمنتزِعُ عن عرائسِ أبكارِ المباني بكشفِهِ جلبابَها، وهو الذَّابُّ عن الدِّينِ طعنَ الزَّنادِقةِ والملحِدينَ، والنَّاقدُ للمرويَّاتِ عن سيِّدِ المرسَلِينَ، وللمأثوراتِ عن الصَّحابةِ والتَّابعِينَ.

فمن قالَ: إنَّه كافرٌ فهو كافرٌ حقيقٌ، ومَنْ نسبَهُ إلى الزَّندقةِ فهوَ زنديقٌ، وكيفَ ذاكَ وقد سارَت تصانيفُه في الآفاقِ، وليسَ فيها شيءٌ ممَّا يَدُلُّ على الزَّيغِ والشِّقاقِ، ولم يكُن بحثُه فيما صدرَ عنهُ في مسألةِ الزِّيارَةِ والطَّلاقِ إلَّا عن اجتهادٍ سائغٍ بالاتفاقِ، والمجتهِدُ في الحالتَيْنِ مأجورٌ ومثابٌ، وليسَ فيه شيءٌ ممَّا يُلامُ ويُعابُ، لكِنْ حملَهُم على ذلكَ حسَدُهم الظَّاهرُ، وكيدُهم الباهرُ، وكفَى للحاسدِ ذمًّا آخرُ سورةِ الفلَقِ في احتراقِه بالقلَقِ.

ألا وهو الإمامُ الفاضلُ البارعُ، التَّقيُّ النَّقيُّ الورِعُ، الفارِسُ في عِلْمَي الحديثِ والتَّفسيرِ، والفقهِ والأصولِ، بالتَّقريرِ والتَّحريرِ، والسَّيفُ الصَّارمُ على المبتدِعِينَ، والحبرُ القائمُ بأمورِ الدِّينِ، والأمَّارُ بالمعروفِ والنَّاهي عن المنكَرِ، ذو همَّةٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ فيما يروعُ ويُزجَرُ، كثيرُ الذِّكرِ والصَّومِ والصَّلاةِ والعبادةِ، خشنُ العيشِ والقناعةِ، مِن دونِ طلَبِ الزِّيادةِ.

---

(١) السلافة: من أسماء الخمر، وهي من الخمر أخلصها وأفضلها. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: سلف).

وكانت لـه المواعيدُ الحسَنةُ السَّنيَّةُ، والأوقاتُ الطَّيِّبَةُ البهيَّةُ، مع كفِّهِ عن حُطامِ الدُّنيا الدَّنيَّةِ، ولـه المصنَّفاتُ المشهورَةُ المقبولَـةُ، والفتاوى القاطِعةُ غيرُ المعلولَةِ.

وقد كتبَ على بعضِ مُصنَّفاتِهِ قاضي القضاةِ ابنُ الزَّملكانيِّ رحمَهُ اللهُ:

مـاذا يقُولُ الواصِفُـونَ لـهُ وصِـفَاتُه جَلَّتْ عـن الحَصرِ

هـوَ حُـجَّـةٌ للهِ قـاهِـرَةٌ هـو بَيْنَنـا أُعجُوبـةُ الدَّهـرِ[1]

أفلا تكفِي شهادةُ هذا الحبرِ لهذا الإمامِ، حيثُ أطلَقُوا عليهِ حجَّةَ اللهِ في الإسلامِ، ودعواهُ أن صفاتِه الحميدَ لا يمكِنُ حصرُها، ويعجَزُ الواصِفُ عن عَدِّها وسبرِها، فإذا كانَ كذلكَ كيفَ لا يجوزُ إطلاقُ شيخِ الإسلامِ عليهِ، أو التَّوجُّهُ بذكرِه إليهِ، وكيفَ يسوغُ إنكارُ المعانِدِ الماكرِ الحاسدِ؟!

وليتَ شِعري! ما مُتمسَّكُ هذا المكابِرِ الجاهِلِ المجاهِرِ، وقد علِمَ أنَّ لفظةَ الشَّيخِ لها معنيانِ؛ لغويٌّ، واصطلاحيٌّ.

فمعناهُ اللُّغويُّ: الشَّيخُ: مَنِ استَبانَ فيهِ الكِبَرُ.

ومعناهُ الاصطِلاحيُّ: الشَّيخُ: مَنْ يصلُحُ أن يُتلْمَذَ لهُ.

وكِلَا المعنيَيْنِ موجودٌ في الإمامِ المذكورِ، ولا ريبَ أنَّه كانَ شيخًا لجماعةٍ مِن علماءِ الإسلامِ، ولتلاميذِه مِن فقهاءِ الأنامِ، فإذا كانَ كذلكَ كيفَ لا يُطلَقُ عليه شيخُ الإسلامِ؛ لأنَّ مَن كانَ شيخَ المسلمينَ يكونُ شيخًا للإسلامِ.

وقد صرَّحَ بإطلاقِ ذلكَ عليهِ قضاةُ القضاةِ الأعلامُ، والعلماءُ الأفاضِلُ

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (ص٢٥)، و«تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٢٧٨)، و«الرد الوافر» (ص٥٧).

أركانُ الإسلامِ، وهم الَّذينَ ذكرَهم مؤلِّفُ «كتابِ الردِّ الوافرِ» في رسالَتِه التي أبدَعَ فيها بالوجهِ الظَّاهرِ، وقد استغنَينا بذكرِهِ عن إعادَتِه، فالواقِفُ عليه يتأمَّلُه، والنَّاظرُ فيهِ يتقبَّلُه.

وأمَّا مناظراتُ هذا الإمامِ فكثيرةٌ في مجالسَ عديدةٍ، فلم يظهَرْ في ذلكَ لمعانِديه فيما ادُّعِيَ به عليهِ برهانٌ، غيرَ تنكيداتٍ في القلوبِ رسخَتْ من ثمارِ الشَّنآنِ، وقصارَى ذلك أنَّه حُبِسَ بالظُّلمِ والعُدوانِ، وليسَ في ذلك ما يُعابُ به ويُشانُ.

وقد جرَى على جُلَّةٍ مِن التَّابعينَ الكبارِ مِن قتلٍ وقيدٍ وحبسٍ وإشهارٍ، وقد حُبِسَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضيَ الله عنه وماتَ في الحبسِ، فهل قالَ أحدٌ مِن العلماءِ: إنَّه حبِسَ حقًّا؟! وحُبِسَ الإمامُ أحمَدُ وقيِّدَ لَمَّا قالَ قولًا صِدقًا، والإمامُ مالكٌ ضُرِبَ ضربًا مؤلمًا شديدًا بالسِّياطِ، والإمامُ الشَّافعيُّ حُملَ من اليمنِ إلى بغدادَ بالقيدِ والاحتياطِ، وليسَ ببِدعٍ أن يجرِيَ على هذا الإمامِ ما جَرَى على أولئكَ الأئمَّةِ الأعلامِ.

ثم ذكرَ العينيُّ وفاةَ ابنِ تيميةَ وكثرةَ الخلائقِ في جنازَتِهِ ومرثِيَةَ عمرَ ابنِ الوردِيِّ فيه.

ثم قالَ: وفيهِ يقولُ العلَّامةُ أثيرُ الدِّينِ أبو حيَّانَ رحمَهُ اللهُ تعالى:

قامَ ابنُ تيمِيةٍ في نَصرِ شِرعَتِنا ... مَقامَ سيِّدِ تَيمٍ إذ عَصَتْ مُضَرُ

فأظهَرَ الحقَّ إذْ آثارُهُ درَسَتْ ... وأخمَدَ الشَّرَّ إذْ طارَتْ لهُ الشَّرَرُ

كنَّا نُحَدَّثُ عن حَبرٍ يجِيءُ فها ... أنتَ الإمامُ الَّذي قدْ كانَ يُنتَظَرُ[1]

(١) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٩٨)، و«الرد الوافر» لابن ناصر الدين (ص٦٣)، و«الدرر الكامنة» =

ومثلُ الإمامِ أبي حيانَ إذا شهِدَ له بأنَّه ناصرُ الشَّريعةِ، ومظهِرُ الحقِّ، ومخمِدُ الشَّرِّ وأنَّه هو الإمامُ الَّذي كانوا ينتظِرُونَ مجيئه = كفاهُ مدحًا وتزكيةً.

فإذا كانَ هذا الإمامُ بهذا الوصفِ بشهادةِ هذا العلَّامةِ، وبشهادةِ غيرِه مِنَ العلماءِ الكبارِ، فما يترتَّبُ على مَن يُطلِقُ عليه الزَّندقةَ أو ينبِزُهُ بالكفرِ؟

ولا يصدُرُ هذا إلَّا عن غبيٍّ جاهلٍ، أو مجنونٍ كاملٍ، فالأوَّلُ يُعزَّرُ بغايةِ التَّعزيرِ، ويُشهَّرُ في المجالسِ غايةَ التَّشهيرِ، بل يُؤبَّدُ في الحبسِ إلى أن يُحدِثَ التَّوبةَ، ويرجِعَ عن ذلكَ بأحسنِ الأوبةِ، والثَّاني يُداوَى بالسَّلاسلِ والأصفادِ، والضَّربِ الشَّديدِ بلا أعدادٍ.

وهذا كلُّهُ مِن فسادِ أهلِ هذا الزَّمانِ، وتواني ولاةِ الأمرِ عن إظهارِ العدلِ والإحسانِ، وقطعِ دابرِ المفسِدينَ، واستئصالِ شأفةِ المدبِرينَ، حيثُ يتصدَّى جاهلٌ غبيٌّ يدَّعي أنَّه عالمٌ، يثلُبُ أعراضَ علماءِ المسلمينَ، ولا سيَّما الَّذين مضَوا إلى الحقِّ وبهِ كانوا عادلِينَ.

وهذا الإمامُ ـ معَ جلالةِ قدرِه في العلومِ ـ نُقِلَتْ عنهُ على لسانِ جمٍّ غفيرٍ مِن النَّاسِ كراماتٌ ظهرَتْ منه بلا التباسٍ، وأجوبةٌ قاطعةٌ عندَ السُّؤالِ مِن المعضلاتِ مِن غيرِ توقُّفٍ بحالةٍ مِن الحالاتِ.

ومِن جُمْلةِ ما سُئِلَ عنهُ، وهو على كرسيِّهِ يعِظُ النَّاسَ، والمجلِسُ غاصٌّ بأهلِه، في رجلٍ يقولُ: ليسَ إلَّا اللهُ، ويقولُ: اللهُ في كلِّ مكانٍ، هل هو كفرٌ أو إيمانٌ؟

---

= لابن حجر (١/ ١٧٧). وانظر الأبيات في «ديوان أبي حيان» (ص٤٤٧).

فأجـابَ علـى الفَورِ: مَـن قـالَ: إنَّ اللهَ تعالى بذاتِـه في كلِّ مـكانٍ فهو مخالفٌ للكتـابِ والسُّـنَّةِ وإجمـاعِ المسـلمينَ، بل هـو مخالِفٌ للمِلَـلِ الثَّلاثِ، بـلِ الخالقُ سبحانَه وتعالـى بائـنٌ مـن المخلوقـاتِ، ليـسَ فـي مخلوقاتِه شـيءٌ مِـن ذاتِه، ولا فـي ذاتِـه شـيءٌ مِـن مخلوقاتِه، بـل هو الغنـيُّ عنهـا، البائنُ بنفسِـه منها.

وقـد اتَّفَـقَ الأئمَّةُ مِـن الصَّحابـةِ والتَّابعيـنَ والأئمَّةِ الأربعةِ وسـائرِ أئمَّـةِ الدِّينِ أنَّ قولَـه تعالـى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ليـسَ معنـاه أنَّـه مختلِـطٌ بالمخلوقـاتِ وحـالٌّ فيها، ولا أنَّـه بذاتِه فـي كلِّ مكانٍ، بل هو سـبحانَه وتعالـى مـعَ كلِّ شـيءٍ بعلمِـه وقُدرَته ونحـوِ ذلكَ، فـاللهُ سـبحانه وتعالى مـعَ العبدِ أينمـا كانَ، يسـمَعُ كلامَه، ويـرى أفعالَه، ويعلَمُ سـرَّهُ ونجواهُ، رقيـبٌ عليهم، مُهيمِنٌ عليهـم، بـل السَّـماواتُ الأرضُ ومـا بينَهُمـا كلُّ ذلـك مخلـوقٌ للهِ، ليـسَ الله بحالٍّ فـي شـيءٍ منـه، سـبحانَه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشـورى: ١١]، لا فـي ذاتِـه، ولا فـي صفاتِـه، ولا أفعالِه، بـل يوصَفُ اللهُ بِمَـا وَصَفَ به نفسَـهُ، وبما وصفَـهُ رسـولُه مِـن غيـرِ تكييـفٍ ولا تمثيـلٍ، ومِـن غيـرِ تحريـفٍ ولا تعطيـلٍ، ولا تُمَثَّـلُ صفاتُـه بصفـاتِ خلقِه.

ومذهـبُ السَّـلَفِ إثبـاتٌ مِـن غيـرِ تشـبيهٍ، وتنزيـهٌ بـلا تعطيـلٍ، وقـد سُـئِلَ الإمـامُ مالكٌ رضـيَ الله عنه عن قولِـه تعالـى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقـالَ: الاسـتواءُ معلـومٌ والكيـفُ مجهـولٌ، والإيمـانُ به واجـبٌ، والسُّـؤالُ عنه بدعةٌ[(١)].

---

(١) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، وابن المقرئ في «معجمه» (٣/ ٥٧)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٦٦٤) عن الإمام مالك.

فهذا الإمامُ كما رأيتَ عقيدَته وكاشفت سريرَته، فمَنْ كانَ على هذه العقيدةِ كيفَ يُنسَبُ إلى الحلولِ والاتِّحادِ والتَّجسيمِ؟! أو ما يذهبُ إليه أهلُ الاتِّحادِ. أعاذَنا الله وإيَّاكم مِنَ الزَّيغِ والضَّلالِ والفَسادِ، وهدانا إلى سُبُلِ الخيرِ والرَّشادِ، إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

حرَّره منمَّقًا، فقيرُ ربه الغنيّ، أبو محمَّدٍ، محمودُ بنُ أحمدَ العينيُّ، عاملَهُ الله بلطفِه الخفيِّ والجليِّ، بتاريخِ الثَّامنَ عشرَ مِن ربيعِ الأوَّلِ، عام خمسةٍ وثلاثينَ وثمان مئةٍ بالقاهرةِ المحروسَةِ[1].

* * *

(١) انظر: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص٥٦٦).

(٢١)

## [شيخ الإسلام التَّفِهْني][(١)]

وهذا صورةُ تقريظِ الإمامِ وشيخِ الإسلامِ التَّفِهْنِيِّ الحنفيِّ:

الحمدُ للهِ الَّذي جعَلَ قلوبَ العلماءِ كنوزَ لطائفِ الحِكَمِ، وألسنتَهم مكفوفةً عمَّا فيه نقصٌ أو جرحٌ أو ألمٌ، وأسماعَهم عن سماعِ قولِ الفُحشِ في صَممٍ، وخصَّهم بين الأنامِ بجلائلِ النِّعَمِ، وجعلَهم محفوظينَ عن الخوضِ في الأعراضِ، متجانِبينَ عمَّا يؤدِّي إلى ظهورِ الأغراضِ.

وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ المبعوثِ للعربِ والعجمِ، وعلى آله وأصحابِه ذوي الكرَمِ والهِمَمِ.

وبعدُ:

فإنَّ صاحبَ هذا التَّأليفِ قد أمعنَ وأجادَ، وبيَّنَ وأتقنَ وأفادَ، فيما هو المقصودُ والمرادُ، مِن الردِّ على مَن أكفرَ علماءَ الإسلامِ، وهم الأئمَّةُ الأعلامُ، بنسبتِهم الشَّيخَ العالمَ النَّاسكَ تقيَّ الدِّينِ ابنَ تيميةَ الى كونِه شيخَ الإسلامِ.

فنقولُ وباللهِ التَّوفيقُ: إنَّ الشَّيخَ تقيَّ الدِّينِ ابنَ تيميةَ كانَ على ما نُقِلَ إلينا مِن الَّذين عاشرُوه، وما اطَّلَعنا عليه مِن كلامِ تلميذِه ابنِ القيِّمِ الجوزيَّةِ الَّذي سارَتْ تصانيفُه في الآفاقِ، كانَ عالمًا مفنِّنًا مُتقنًا، مُتقلِّلًا مِن الدُّنيا، مُعرِضًا

---

(١) القاضي زين الدّين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن الحنفي التّفهني؛ نسبة إلى تفهن قرية بمصر، مهر في الفقه والعربية، وناب في الحكم، وولي تدريس الصّرغتمشية، وولي قضاء الحنفية، فباشره مباشرة حسنة، وكان حسن العشرة، كثير العصبيّة لأصحابه، توفي سنة (٨٣٥ هـ). انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٩/ ٣١١).

عنهـا، متمكِّنًـا مـن إقامـةِ الأدلَّـةِ علـى الخصـومِ، حافظًـا للسُّـنَّةِ، عارفًـا بطرقهـا، عالمًـا بالأصلَيْـنِ؛ أصـولِ الدِّينِ وأصـولِ الفقهِ، قادرًا على الاسـتنباطِ لاسـتخراجِ المعانـي، لا يلومُـه فـي الحـقِّ لومـةُ لائـمٍ، قائمًـا علـى أهـلِ البِـدَعِ المجسِّـمةِ والحلوليَّـةِ والمعتزلـةِ والرَّوافـضِ وغيرِهـم.

والإنسانُ إذا لم يُخالَطْ ولم يُعاشَرْ يُستدَلُّ على أحوالِه وأوصافِه بآثارِه، ولو لم يكُنْ مِنْ آثارِه إلَّا ما اتَّصفَ به تلميذُه ابنُ القيِّمِ الجوزيَّةِ مِن العلمِ لكفَى ذلك دليلًا على ما قلْناهُ.

وما نُقِلَ إلينا ممَّا اجتمَعَ في جنازَته مِن الخَلْقِ الَّتي لا تُحصَى، حتَّى شُبِّهَتْ جنازُتُه بجنازةِ الإمامِ أحمدَ رضيَ الله عنه عبرةً لمن اعتبرَ، وما نقِلَ إلينا مِن تسلُّطِه على الجانِّ المردَةِ عبرةٌ أيضًا.

قالَ تلميذُه ابنُ القيِّمِ الجوزيَّةِ عندَ كلامِه عنِ الصَّرَعِ في «الطِّبِّ النبويِّ» واختارَ أنَّ الصَّرعَ على قسمَينِ؛ صرعٌ يتعلَّقُ بالأخلاطِ، وصرعٌ يتعلَّقُ بالأرواحِ الخبيثةِ: كانَ شيخُنا ابنُ تيميةَ يأتي إلى المصروعِ، ويتكلَّمُ في أذنِه بكلماتٍ، فيخرُجُ الجنيُّ منهُ، فلا يعودُ إليهِ بعدَ ذلكَ[1]، وحكايتُهُ مع الذي اختُطِفَتْ زوجَتُه معروفةٌ، ومع الَّذي كانَ يرتفِعُ إلى السَّقفِ معروفةٌ أيضًا.

فمَنْ كانَ يتصِّفُ بهذه الأوصافِ كيفَ لا يلقَّبُ بشيخِ الإسلامِ.

ومذهـبُ أهلِ السُّـنَّةِ والجماعةِ: لا يجـوزُ تكفيرُ أحدٍ مِن أهـلِ القبلَةِ، أعمُّ مِن أنْ يكُـونَ سُـنيًّا أو معتزليًّـا أو شـيعيًّا أو من الخـوارجِ، وهو المرويُّ عـن أبي حنيفةَ رضـيَ الله عنـه، فإنَّـه سُـئِلَ عن طائفـةٍ مِـن الخوارجِ فقـالَ: هـم أخبَثُ الخـوارجِ،

(١) انظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص٥٢).

فقيـلَ: هـل تكفِّرُهم؟ فقـالَ: لا[١]. وهكذا المرويُّ عن الشّـافعيِّ والأشـعريِّ وأبي بكـرٍ الرَّازيِّ.

وقد أخبرَني من حضَرَ مجلِسَ هذا المكفِّرِ فقالَ: ابنُ تيميةَ كافرٌ مجوسيٌّ، اليهودُ والنَّصارَى خيرٌ منهُ؛ فإنَّ النَّصارَى واليهودَ لهم كتابٌ، وابنُ تيميةَ لا كتابَ له!

فنعوذُ باللهِ مِنْ هذهِ النَّزغَةِ الشَّيطانيَّةِ الفظيعَةِ القبيحَةِ، مع أنَّهُ لم يُنقَل عنِ ابنِ تيميةَ كلامٌ يقتَضِي كفرًا ولا فسقًا ولا ما يَشينُه في دينِه.

وقد كُتِبَتْ في زمنِه محاضرُ بجماعةٍ مِن العلماءِ العدولِ، اطَّلَعنا عليها بأنَّه لم يقَع منهُ شيءٌ ممَّا يَشينُه في دينِهِ، ووصفُوه في تلكَ المحاضرِ بأعظَمَ ممَّا قلناهُ مِنْ أوصافِه المتقدِّمةِ، وإنَّما قامَ عليه بعضُ العلماءِ في مسألَتَي الزِّيارَةِ والطَّلاقِ، وقضيَّةُ مَن قامَ عليهِ مشهورَةٌ، والمسألتانِ المذكورَتانِ ليسَتا مِن أصولِ الأديانِ، وإنَّما هما مِن فروعِ الشَّريعةِ الَّتي أجمعَ العلماءُ على أنَّ المخطِئَ فيها مجتهدًا مُثابٌ لا يُكفَّرُ ولا يُفسَّقُ، والشَّيخُ كان يتكلَّمُ في المسألَتَينِ بطريقِ الاجتهادِ.

وقد ناظرَهُ مَن أنكَرَ عليه فيهما مناظرةً مشهورةً بأدلَّةٍ يحتاجُ مَن عارَضَه فيها إلى التَّأويلِ.

ثم قالَ بعد كلامٍ طويلٍ عن المعترِضِ: وكما وقَعَ له مثلُ ذلكَ في حقِّ شخصٍ ممَّن أجمَعَ النَّاسُ على علمِهِ وخيرِهِ ودينِهِ وتبحُّرِهِ في العلومِ، وهو الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ البساطيُّ قاضي القضاةِ المالكيُّ بالدِّيارِ المصريَّةِ[٢].

---

(١) انظر: «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة (ص١١٠).

(٢) شـمس الديـن محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان المالكـي البسـاطي نسـبة لبعـض قـرى بسـاط ـ في الغربيـة بمصـر ـ، كان فـي شـبيبته نابغـة فـي الطلبة، واشـتهر أمـره وبعد صيته واشـتغل فـي فنون، =

فنسألُ اللهَ أن يتوبَ عليهِ، وأن يصونَ لسانَه ولسانَنا عن الزَّلَلِ، آمينَ.

قالَ ذلكَ عبدُ الرَّحمنِ التَّفِهْنِيُّ الحنفِيُّ، عاملَهُ اللهُ بلطفِه الخفيِّ، في رابعَ عشرَ ربيعٍ الأوَّلِ، سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثمان مئةٍ.

***

= وكان عارفاً بفنون المعقول والعربية والمعاني والبيان والأصلين وصنف فيهما تصانيف وفي الفقه أيضًا، وباشر القضاء نحو عشرين سنة، توفي سنة (٨٤٢ هـ). انظر: «السلوك لمعرفة دولة الملوك» للعبيدي (٧/ ٢٤٢)، و«إنباء الغمر» لابن حجر (٤/ ١٢٤)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١٥/ ٤٦٦).

(٢٢)

[علم الدِّين البلقيني][(١)]

هذا صورةُ تقريظٍ ما كتبَهُ الشَّيخُ الإمامُ وشيخُ الإسلامِ البُلقِينيُّ:

قالَ بعدَ الخُطبةِ: وقفتُ على هذا التَّصنيفِ الجامعِ، والمنتقَى البديعِ المطرِبِ للسَّامعِ، وعملْتُ بشروطِ الواقفِينَ مِن استيفاءِ النَّظَرِ، فوجدْتُه عقدًا مُنظَّمًا بالدُّررِ، يفوقُ عقودَ الجُمَانِ، ويُزرِي بقلائدِ العِقيانِ، ويضوعُ مسكُ الثَّناءِ على جامعِه مدى الزَّمانِ، وقالَ لسانُ الحالِ في حقِّهِ: (ليسَ الخبرُ كالعيانِ)[(٢)].

وكيفَ لا؟! وهو مشتمِلٌ على مناقبِ عالمِ زمانِه، والفائقِ على أقرانِه، والذَّابِّ عن شريعةِ المصطفى باللِّسانِ والقلَمِ، والمناضِلِ عن الدِّينِ الحنيفِيِّ وكم أبدَى من الحكَمِ.

صاحبِ المصنَّفاتِ المشهورةِ، والمؤلَّفاتِ المأثورَةِ، النَّاطقةِ بالرَّدِّ على أهلِ البدَعِ والإلحادِ، القائلِينَ بالحلولِ والاتِّحادِ، ومَن هذا شأنُهُ كيفَ لا يُلَقَّبُ بشيخِ الإسلامِ، وينوَّه بذكرِهِ بينَ العلماءِ الأعلامِ؟! ولا عِبرةَ بمَنْ يرمِيهِ بما ليسَ فيهِ، أو

---

(١) علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، ابن شيخ الإسلام سراج الدين، برع في الفقه وأفتى ودرس، واستمر ملازماً لأخيه قاضي القضاة جلال الدين البلقيني إلى أن توفي، ولي القضاء غير مرة، توفي سنة (٨٦٨ هـ). انظر: «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر (ص١٦٩)، و«المنهل الصافي» (٦/ ٣٢٧)، و«النجوم الزاهرة» (١٦/ ٣٣٣) كلاهما لابن تغري بردي، و«طبقات المفسرين» للداوودي (١/ ٢٢٠).

(٢) استعمل مثلاً كما هنا، وأصله حديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٤٢)، والبزار في «مسنده» (٥٠٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٠)، بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة». وانظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ١٨٢).

ينسِبُه بمجرَّدِ الأهواءِ إلى قولٍ غيرِ وجيهٍ، فلم يضرَّهُ قولُ الحاسدِ والباغِي والجاحِدِ والطَّاغي.

وما ضرَّ نورَ الشَّمسِ إنْ كانَ ناظِرًا ... إليهِ عُيونٌ لم تزَل دهْرَها عُميًا[١]

***

حَسَدُوا الفَتى إذ لم يَنالُوا سعْيَهُ ... فالقَومُ أعداءٌ لهُ وخُصومُ[٢]

أعاذَنا اللهُ مِنْ حسدٍ يسدُّ بابَ الإنصافِ، ويصدُّ عن جميلِ الأوصافِ.

وكيفَ يجوزُ أن يكفِّرَ مَنْ لَقَّبَ هذا العالمَ بشيخِ الإسلامِ، ومذهبُنا أنَّ مَنْ أكفَرَ أخاه المسلِمَ بغيرِ تأويلٍ فقد كفَرَ؛ لأنَّه سمَّى الإسلامَ كفرًا.

ولقد افتخَرَ قاضي القضاةِ تاجُ الدِّينِ السُّبكيُّ رحمَه اللهُ تعالى في ترجمةِ أبيهِ الشَّيخِ تقيِّ الدِّين السُّبكيِّ في ثناءِ الأئمَّةِ عليهِ بأنَّ الحافِظَ المزيَّ لم يكتُب بخطِّهِ لفظةَ (شيخِ الإسلامِ) إلَّا لأبيهِ وللشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميةَ وللشَّيخِ شمسِ الدِّينِ ابن أبي عمرَ[٣].

فلولا أنَّ ابنَ تيميةَ في غايةِ العلوِّ في العلمِ والعمَلِ ما قرَنَ ابنَ السُّبكيِّ أباه معَه في هذِه المنقَبةِ الَّتي نقلَها، ولو كانَ ابنُ تيميةَ مبتدِعًا أو زنديقًا ما رضِيَ أن يكونَ أبوهُ قرينًا لهُ.

---

(١) لعل البيت لعلم الدين البلقيني فإني لم أقف عليه قبله، وقد ضمنه المصنف أبياتًا قالها في أول كتابه: «الكواكب الدرية».

(٢) البيت أنشده كثيرون، ونسب لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة بديعة. انظر: «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/ ١٦٢)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ٥٦٨).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠/ ١٩٥). وقد تقدم.

نعَم، قد نُسِبَ الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ ابن تيميةَ لأشياءَ أنكرَها عليهِ معاصرُوهُ، وانتصَبَ للردِّ عليهِ الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ السُّبكيُّ في مسألَتَي الزِّيارةِ والطَّلاقِ، وأفردَ كلًّا منهما بتصنيفٍ[1]، وليسَ في ذلكَ ما يقتضِي شينَهُ أصلًا، وكلُّ أحدٍ يؤخَذُ مِن قولِه ويُترَكُ إلَّا صاحبَ هذا القبرِ[2]؛ يعني النَّبيَّ ﷺ، والسَّعيدُ مَنْ عُدَّتْ غلَطاتُه، وانحصرَتْ سقَطاتُه.

ثم إنَّ الظَّنَّ بالشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ أنَّه لم يصدُر منهُ ذلكَ تهورًا وعدوانًا، حاشا للهِ، بل لعلَّهُ لرأيٍ رآه وأقامَ عليهِ برهانًا، ولم نقِف إلى الآن بعدَ التَّتبُّعِ والفحصِ على شيءٍ مِن كلامِه يقتضِي كفرَهُ ولا زندقتَهُ، إنَّما نقِفُ على ردِّه على أهلِ البدَعِ والأهواءِ وغيرِ ذلكَ ممَّا يدلُّ على براءَتِه وعلوِّ مرتبَتِه في العلمِ والدِّينِ.

وتوقيرُ العلماءِ والكبارِ وأهلِ الفضلِ مُتعيِّنٌ، وقد صحَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لا يرمي رجلٌ رجلًا بالفسقِ أو الكفرِ إلَّا ارتدَّتْ عليهِ، إن لم يكُن صاحبُه كذلكَ»[3].

انتَهى مُلخَّصًا، واللهُ أعلَمُ.

وكتبَهُ الفقيرُ إلى اللهِ صالحُ بنُ عُمرَ البُلقِينيُّ الشَّافعيُّ، في ربيعٍ الأوَّلِ، سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثمان مئةٍ.

* * *

---

(١) سماهما: «رافع الشقاق في مسألة الطلاق»، و«شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام». انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٨٣٠)، (٢/ ١٠٤٩)، وقد رد ار ابن عبد الهادي على كتاب «شفاء الأسقام» بكتاب سماه: «الصارم المنكي في الرد على السبكي» وهو مطبوع.

(٢) نسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وإلى الإمام مالك وإلى مجاهد، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

## [تقريظ جماعة آخرين على كتاب الرد الوافر]

وقد كتَبَ أيضًا جماعاتٌ آخرونَ من التَّقريظِ أضرَبنا عنهُ خوفَ الإطالةِ[1].

وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدِ المرسلِينَ وخاتمِ النَّبيِّينَ، وعلى آلِ كلٍّ وصحبِه أجمعينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

* * *

(١) من هؤلاء:

١ ـ أبو العباس، أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي ثم المصري، كتبه في سنة (٨٣٦ هـ)، بصالحية دمشق، بدار الحديث الأشرفية.

٢ ـ محدث حلب سبط ابن العجمي، أبو الوفاء، إبراهيم بن محمد خليل.

٣ ـ القاضي سراج الدين الحمصي الشافعي.

٤ ـ زين الدين أبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء ين سيد العقبي.

انظر: «أبجد العلوم» لصديق خان (ص٦٤٥)، وانظر بعضها في الملحق المطبوع في نهاية «الرد الوافر» (ص٢٥٣ ـ ٢٨٤).

(٢٣)

## [ترجمة ابن تيمية للشيخ مرعي الكرمي]

قال المؤلفُ مرعي الحنبليُّ سامحَه اللهُ تعالى: قد أحببْتُ أنْ أكتُبَ ترجمةً في ابن تيميةَ شيخِ الإسلامِ؛ اقتداءً بأولئكَ الأئمَّةِ الأعلامِ، ومحبَّةً في ذلكَ الإمامِ.

فأقولُ:

قد علِمْنا علمَ اليقينِ، وتحقَّقنا التَّحقيقَ المبينَ، مِنَ الثِّقاتِ النَّاقلِينَ، وأئمَّةِ الحديثِ النَّاقدينَ أنَّ ابنَ تيميةَ الشَّيخَ تقيَّ الدِّين هو الإمامُ الحافظُ، الحجَّةُ العلَمُ، المجتهدُ الضَّابطُ، المتقِنُ المفسِّرُ، أعجوبةُ الزَّمانِ، ترجمانُ القرآنِ، سيِّدُ المحقِّقينَ، وسندُ المدقِّقينَ، وشيخُ الإسلامِ والمسلمينَ، والمعراجُ الأعلَى في المعارفِ، والمنهاجُ الأسنى في الحقائقِ والعوارفِ، بروجُ سماءِ معرِفَته كواكبُ العنايةِ، ومنشورُ رياضِ حضرةِ أعلامِ الولايةِ.

بحرٌ ليسَ للبحرِ ما عندَهُ للجواهرِ، وحَبرٌ سما على السَّماءِ وأينَ للسَّماءِ مثلُ ما له من الزَّواهرِ، انتظمَتْ بقدرِه العظيمِ عقودُ الملَّةِ الإسلاميَّةِ، وابتسمَتْ بدرِّه النَّظيمِ ثغورُ الثُّغورِ المحمديَّةِ، تنوَّعَ في المباحثِ وفنونِها، وتضوَّعَ في الرِّياضِ وغُصونها، وتفوَّهَ بفصاحةٍ وبلاغةٍ، فصاحةُ قيسٍ وبلاغةُ أوسٍ من دونِها، وخاضَ مِن العلومِ في بحارٍ عميقةٍ، وراضَ النَّفسَ ففاقَ في سلوكِ الطَّريقةِ، وهو فخرُ المتأخِّرينَ على الحقيقةِ.

تقدَّمَ راكبًا فيهم إمامًا ... ولولاهُ لَمَا ركِبُوا وراءَه[1]

---

(١) البيت أنشده ابن فضل الله العمري في ترجمة ابن تيمية في «مسالك الأبصار» (٥/ ٦٨٩)، وقد تقدم.

فريدُ العصرِ إلَّا أنَّهُ شيخُ الإسلامِ، وحيدُ الدَّهرِ إلَّا أنَّه لا يقبَلُ فضلُه الانقسامَ، ومفرَدُ الزَّمان إلَّا أنَّه القائمُ مقامَ الجمعِ، والمستغرِقُ لأوصافِ الإنسانِ عند كلِّ مَنْظَرٍ وسَمْعٍ، وخلاصَّةُ أهلِ الفَرْقِ والتَّمييزِ، وكشَّافُ أسرارِ البلاغةِ باللَّفظِ الوجيزِ، إذا أتعبَ راحتَه بقلَمِ الفُتيا أراحَ أرواحَ أهلِ الدُّنيا.

حَبرٌ إذا مَدَّ اليراعَ جَرَى النَّدَى ... مِنْ راحَتَيهِ فضَائلًا وعَجَائبَا

كالبَحرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِرًا ... جُودًا ويَبعَثُ للبَعِيدِ سَحائبَا[1]

المتحلِّي كلامُه بقلائدِ العِقيانِ، ونظامُهُ ببلاغةِ قَسٍّ وفصاحَةِ سحبانَ، كيفَ لا وهو الفصيحُ الَّذي إنْ تكلَّمَ أجزَلَ وأوجزَ، وأسكَتَ كلَّ ذي لسَنٍ ببلاغَتِه وأعجزَ، بل البحرُ الَّذي جرَتْ فيهِ سفنُ الأذهانِ فلم يُدرَك قرارُهُ، وعجزَ النُّظراءُ والبلغاءُ فلم يخوضُوا تيَّارَهُ، ما برزَ في موطنِ بحثٍ إلَّا برزَ على الأقرانِ، ولا أجرَى جِيادَ علومِهِ إلى غايةٍ إلَّا كانت مطلقَةَ العنانِ، ولا أخبرَ عن فضلِهِ مَنْ رآه إلَّا تمثَّلَ بـ: ليسَ الخبرُ كالعيانِ، سارَتْ بتصانيفِه الرُّكبانُ، وتفنَّن بمدحِها أولو الفخامةِ والشَّانِ.

تصانيفُ قد أنشَا بحسْنِ براعَةٍ ... وحُسنُ عِباراتٍ كدُرٍّ تنضَّدَا

فسارَ بها مَن لا يسِيرُ مُشَمِّرا ... وغَنَّى بها من لا يُغَني مُغرِّدا[2]

فإنْ كنْتَ تعرِفُ الحقَّ عرفْتَ أهلَهُ، أو تدرِي ما الفضلُ أدركتَ فضلَهُ،

---

(١) غالب الظن أن البيت الأول للمصنف، والبيت الثاني للمتنبي ضمنه المصنف في كلامه، وسيتكرر مثل هذا الصنيع. انظر: «ديوان المتنبي» (ص١٠٢) تحقيق عبد الوهاب عزام، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٢٣٢)، و«الحماسة المغربية» (١/ ٤٨٠).

(٢) البيت الثاني للمتنبي، كما في: «ديوانه» (ص٣٦١)، و«يتيمة الدهر» (١/ ١٣٩)، و«الحماسة المغربية» (١/ ٤٤٦).

إلَّا أن تكـونَ ذا عصبيَّـةٍ وحميَّـةٍ، فتجحَـدُ بالهـوى فضائـلَ ابـن تيميـةَ، وتَعمى عن لمعـانِ أنـوارِه البهيَّةِ.

إذا لـم يَكُـن للمَـرءِ عَيـنٌ صَحِيحَـةٌ فلا غَـرْوَ أنْ يرتَـابَ والصُّبـحُ مُسـفِرُ

ومَن يتَّبع لـهَـواهُ أعـمَـى بَـصِيـرةً ومن كانَ أعمَى في الدُّجَا كيفَ يُبصِرُ[1]

فطالعْ كتابَهُ «الكواكبَ الدُّريَّةَ في الرَّدِّ على الرَّوافضِ والإماميَّةِ»[2] تجدِ العجبَ، أو «الرَّدَّ على اليهودِ والنَّصارى وأهلِ البدَعِ»[3] يُداخِلُكَ الطَّربُ، ومواعِظَه تجدْ فيها حكمَةَ لقمانَ، أو فتاوِيه تجِدْ عندَها أبا حنيفَةَ النُّعمانَ، أو زهدَهُ وورَعَهُ تجِدْ إبراهيمَ بنَ أدهَم وأحمدَ بن حنبَلٍ في الزُّهدِ والعرفانِ.

ولقدْ كانَ بحرًا يتقاذَفُ موجُه بالدُّررِ، وعقدًا في جيدِ الدَّهرِ يتلألأُ بالغُرَرِ، فرائدُ فوائدِه تُخْجِلُ جواهِرَ العقودِ، وجواهِرُ فرائِدِه تُزرِي بقلائدِ العِقيانِ والنُّقودِ.

وكانت الأقلامُ خُدَّامًا لخواطرِه، والأسماعُ نظَّامًا لجواهرِه، والطُّروسُ سواحلَ لزواخرِه، وأسواقُ الفضلِ والآدابِ بوجودِه قائمةً، وتحقيقُ العلومِ في أفنائِه دائمةٌ.

كانَـتْ طلعَتُـه الباهرةُ مطلعًا لشـموسِ السَّـعادةِ، وغرَّتُـه الزَّاهرةِ وَسْـمًا لبلوغ السِّـيادةِ، وأبوابُـه مـوردًا لأصنـافِ الكرامـات، وأعتابـه مصـدرًا لأنـواعِ المعالـي والكمالات.

---

(١) ذكـر البيـت الأول بلا نسـبة في: «مفتـاح العلـوم» للسـكاكي (ص٣٠١)، و«الطـراز» للمؤيد بالله (٣/ ١٥٦)، و«الإتبـاع» لابـن أبـي العـز (ص٧٦)، و«نفـح الطيب» للتلمسـاني (١/ ٦٨).

(٢) لابن تيمية كتاب يعرف بـ«منهاج السنة النبوية» مطبوع، رد فيه ابن تيمية رحمه الله على ابن مطهر المتوفى سنة (٧٢٦هـ) في كتابه «منهاج الكرامة».

(٣) وهو المعروف باسم: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، مطبوع.

ولقد كانَ الزُّهدُ شعارَهُ، والورَعُ وقارَهُ، والذِّكْرُ أنيسَهُ، والفِكْرُ جليسَهُ، وظهرَتْ له خفايا الأسرارِ، ولاحَتْ له خبايا الحقائقِ مِنْ وراءِ الأستارِ، وكشفَ الغطاءَ عن حقائقِ الآخرةِ وهو في هذه الدَّارِ، وتفجَّرتْ ينابيعُ الحِكَمِ على لسانِه، وفاضَت عيونُ الحقائقِ مِن خلالِ جَنانِه، وأنشأتْ أهلَ الوجودِ عباراتُه، وأنعَشتْ أرواحَ السَّامعينَ إشاراتُه.

هذا وإنِّي وإن أُعمِلْ صارِم اليراعةِ ومُداها، وأبلغ مِنْ مسالكِ البراعَةِ مَداها، وألمح مِن الإبداعِ غواني المغاني، وأُصمِي بِظُباةِ[1] الأقلامِ ظُبا المعاني[2]، ورُمْتُ تعديدَ بروجِ نجومِ فضائلِه، وتحديدَ تخومِ مدرجِ فواضلِه، الَّتي تتنافسُ فيها الأماثِلُ وتتبَاهى = لَتَناهَتِ الأيَّامُ وهي لا تتَناهى، ولعرَفْتُ أنَّ تعبيرَ لساني قَصورٌ، واعترفْتُ بأنِّي مِن جنانِ مدائحِه في قصورٍ.

وأمَّا ما قيلَ مِن أنَّ الشَّيخَ منعَ مِن زيارةِ القبورِ، فحاشا للهِ، ومعاذَ اللهِ، هذهِ كتبُه وفتاوِيه ومناسِكُه مصرِّحةٌ باستحبابِ زيارةِ قبورِ المسلِمينَ، فضلًا عن الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ، بل صرَّحَ بجوازِ زيارةِ قبورِ الكفارِ.

نعم؛ حكَى خلافًا للعلماءِ فيما إذا سافرَ لمجرَّدِ زيارةِ القبورِ، فمنهم مَن قالَ بالجوازِ وهو مذهبُ الجمهورِ، ومنهُم مَن قالَ بالكراهةِ، ومنهُم مَن قالَ بالتَّحريمِ، واختارَ هذا القولَ ابنُ بطَّةَ[3] وابنُ عَقيلٍ إماما الحنبليَّةِ، والإمامُ أبو محمَّدٍ الجوينيُّ

---

(١) في الأصل: «ظباب»، ولعل الصواب المثبت.

(٢) أصمي: أرمي، ظبا: الظبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك، وجمعه: ظباة وظبى وظبون. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: ظبا، صما).

(٣) انظر: «الإبانة الصغرى» (ص٢٤٣).

إمامُ الشَّافعيةِ، وهو اختيارُ القاضي عياضٍ في «إكمالِهِ» وهو إمامُ المالكيَّةِ[١]، ومالَ إلى هذا القولِ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ.

والحجَّةُ في ذلكَ الحديثُ الصَّحيحُ، وهو قولُه عليهِ السلامُ: «لا تشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجِدَ...» الحديثَ[٢]، وقد انتصَبَ للرَّدِّ على السُّبكيِّ ابنُ عبدِ الهادي في مجلَّدٍ كبيرٍ سمَّاهُ: «الصَّارمَ الـمُنْكِي في الردِّ على السُّبكيِّ».

وأمَّا مسألةُ الطَّلاقِ فإنَّ ابنَ تيميةَ رحمَهُ اللهُ يقولُ: إنَّ الطَّلاقَ الثَّلاثَ دفعةً واحدةً لا يقَعُ إلَّا واحدةً، وهو لم ينفرِدْ بهذا القولِ، بل هو يُروَى عن عليٍّ والزُّبيرِ وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، وابن مسعودٍ، وابنِ عبَّاسٍ. وقالَ به عطاءٌ وطاوسٌ وعَمرُو بنُ دينارٍ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وأبو الشَّعثاءِ ومحمَّدُ بن إسحاقَ والحجَّاجُ بن أرطاةَ، وقالَ به شيوخٌ مِن قرطبةَ، وجماعةٌ منهم محمَّدُ بن عبدِ السَّلامِ الخُشَنيُّ فقيهُ عصرِه، وأصبَغُ بن الحبابِ، واختارَ هذا الإمامُ أبو حيَّانَ في تفسيرِه «النَّهرِ»[٣]، والإمامُ ابن القيِّمِ، وتكلَّمَ على ذلكَ في نحوِ أربعينَ ورقةً[٤].

فلينكُـرْ علـى هؤلاءِ مَـنْ ينكِرُ على ابـنِ تيميةَ، لا سـيَّما وقد صـرَّحَ العلماءُ أنَّ

(١) انظر قول أبي محمد الجويني والقاضي عياض في: «شرح النووي على مسلم» (٩/ ١٠٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٦٥). وانظر قول ابن عقيل في «المغني» لابن قدامة (٢/ ١٩٥).

(٢) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «النهر الماد من البحر» هو مختصر «البحر المحيط» وفيه زيادات عليه، طبع بهامش «البحر» في مطبعة السعادة بمصر (١٣٢٩هـ). انظر: «معجم المطبوعات العربية» ليوسف سركيس (١/ ٣٠٨)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٩٩٣).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ١٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (٣٣/ ٨٣)، و«إغاثة اللهفان» لابن القيم (ص٣٢٨).

مذهَبَ الأئمَّـةِ قاطبةً أنَّـه لا يجوزُ للمجتهدِ أن يقلِّـدَ، بل يجِبُ عليـهِ العمَلُ بما رآه اجتهـادُهُ، وابـنُ تيميـةَ كانَ مجتهدًا بشـهادَةِ علمـاءِ عصرِه، فـلا وجهَ للإنـكارِ عليهِ إلَّا مجـرَّدُ العصبيَّـةِ، وحميَّـةُ الجاهليَّةِ، وما أحسَـنَ قـولَ ابنِ فضـلِ اللهِ العمريُّ في مرثيَّتِه المتقدِّمةِ:

عليـكَ فـي البحـثِ أن تُبـدِي غَوامِضَهُ ... ومـا عَلَيـكَ إذا لـم تفهَـمِ البقَـرُ[1]

***

وبالجملةِ: فهو الحَبرُ الَّذي فاقَ بصفاتِه الأوائلَ، والبحرُ المشتمِلُ بذاتِه على جواهرِ الفضائلِ، ومَنْ تكلَّمَ فيه، أو توجَّهَ بالنَّقصِ إليهِ مِن فِيْه، فإنَّما هو عفنجلٌ[2] قَنَعْدَلٌ[3] سَبَهْلَلٌ[4]، أو زعقوق[5] بن طرموق[6]، يتكلم بكلامٍ عَسْلَطَةٍ[7] عَسْمَطَةٍ[8]، ويحكي الغَطْغَطَةَ[9]......................................................

(١) انظر: «مسالك الأبصار» (٥/ ٧٠٨).

(٢) العفنجل: الثقيل الهذر الكثير فضول الكلام. انظر: «المحكم» لابن سيده (٢/ ٤٣٥).

(٣) القنعدل: الأحمق. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قنعدل).

(٤) السبهلل: الفارغ، يقال: جاء سبهللاً؛ أي بلا شيء. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: سبهل).

(٥) الزعقوق: هو الجعل، دويبة معروفة أكبر من الخنفساء، شديد السواد، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها، يموت من ريح الورد والطيب. انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٢٨)، و«المستطرف» للأبشيهي (ص٣٥٥).

(٦) الطرموق والطمروق: من أسماء الخفاش. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: طمرق، طرمق).

(٧) العسلطة: الكلام بلا نظام، وكلام معسلط: مخلط. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ١١٥٥)، و«القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عسلط).

(٨) العسمطة: تخليط الخبر، عسمطت الشيء: إذا خلطته. انظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ٤٧٦).

(٩) الغطغطة: حكاية صوت القدر في الغليان وما أشبهها. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: غطط).

العَفْلَطَةَ[١]، لُكَعُ بنُ لُكَعٍ[٢]، زُحْلُوطٌ[٣] هَبَنْقَعٌ[٤]، لا يَعِي ما يقول؛ لأنَّه عَفْكَلٌ[٥]، ويشتهي الفُضول، كأنَّه نَعْثَلٌ[٦] مِنْ أقوامٍ زِعْنِفَةٍ[٧]، يحبُّونَ العَجْرَفةَ[٨]، يحملُ على ظهرِه أوزارًا، ويجرُّ إلى نفسه نارًا، وإلَّا فالشَّيخُ ابنُ تيميةَ آياتُ معاليهِ بألسِنَةِ الأقلامِ متلوَّة، وأبكارُ الأفكار كانَتْ بِيَدِ معانِيْهِ مَجْلُوَّة، ومدحُه على ممرِّ الأعصار شائِع، وفضلُه عندَ عُلماءِ الأقطارِ ذائِع[٩].

وقد أناخَ ابنُ عبدِ السَّلامِ[١٠] ركائبَهُ بدارِ السَّلامِ، عليهِ الرَّحمةُ والرِّضوانُ، وسحائبُ العفوِ والغفرانُ، وهواطِلُ الرِّضا على مَرِّ الأزمانِ.

---

(١) العفلطة: تخليط الخبر، مثل العسمطة. انظر: «المخصص» لابن سيدة (٣/ ٤٧٦)، و«لسان العرب» لابن منظور (مادة: عفلط).

(٢) (لكع بن لكع) اللكع عند العرب: العبد، وقيل: هو اللئيم، وقيل: هو الوسخ القذر. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٠/ ٣٩٤).

وقد ورد ذكره في حديث حذيفة رضي الله عنه يرفعه: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعدَ الناس بالدنيا لُكَع بنُ لكع». رواه الترمذي (٢٢١٠)، وقال: حسن غريب.

(٣) زحلوط: رجل خسيس من سفلة الناس. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ١١٩٦).

(٤) الهبنقع: المزهوُّ الأحمق. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: هبقع).

(٥) العفكل: الضعيف الأحمق. انظر: «المخصص» لابن سيده (١/ ٢٦٩).

(٦) النعثل: الشيخ الأحمق. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (مادة: نعثل).

(٧) زعنفة: مفرد زعانف، وزعانف كل شيء: رديؤه ورذاله. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: زعنف).

(٨) العجرفة: الإقدام في هوج، والجفوة في الكلام، والخرق في العمل. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ١١٣٧)، و«لسان العرب» لابن منظور (مادة: عجرف).

(٩) من قوله: «ومن تكلم فيه» إلى هنا سقط من (ط).

(١٠) يقصد ابن تيمية، نسبه إلى جده، على خلاف المشهور، ليوافق السجع.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، آمين.

قال ذلك وكتبه: العبد الفقير، العاجز الحقير، من لا شيء، وعمله سيء، مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي.

وذلك في ربيع الأول، بالجامع الأزهر، بمصر المحروسة، عام اثنين وثلاثين وألف[1].

***

(١) جاء في آخر النسخة الخطية (الأصل): «تمت المناقب المباركة، بحمد الله وحسن توفيقه، يوم الإثنين، رابع عشر ربيع الثاني، من شهور سنة اثنين وثلاثين وألف، والحمد لله وحده».